تُحْفَةُ الْـمَجَالِسِ

بِنكْهَةِ عَاشُورَائِيَّةِ

بُحوثٌ قُرْآنِيَّةٌ

فِي التَّفْسِيرِ وَالْعقَائِدِ وَالتَّرْبِيَةِ

الجزء الأول

تَأْلِيفُ

سَماحَةِ السَّيِّدِ يُوسُفَ حَلُو خضر الناجي

إمَامُ وَخَطِيبُ حُسَيْنِيَّة الْإمَامِ الْحُسَّيْنِ عليه السلام

هوية الكتاب

أسم الكتاب: تحفة المجالس.

تأليف: سماحة السيد يوسف حلو الموسوي.

الطبعة: الأولى ١٤٤١ هـ، ٢٠٢٠ م.

اخراج: يوسف حلو الناجي.

المطبعة: مؤسسة البلاغ، بيروت – لبنان.

الاهداء

الى من عشق الحرية والإسلام المحـــــمدي الأصـــــيل

ومن نهج نهجه وسار دربه لتحقيق اهداف ثورته الخلاقة ...

الى ســــيدي وسيد الاحــــرار ابي عبد الله الحسين عليه السلام

اهـدي هـــذه التـــــــحفة الـــعاشـــــورائية.

المؤلف

بِسْمِ اللهِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله واللعنة الدائمة على اعدائهم الى يوم القيامة...

تلبيتاً لنداء الرسول واله ﷺ حيث وردة أحاديث كثيرة يجمعها مضمون مفاده الحث على تدوين فضائلهم وأحاديثهم وعلمهم ومنها: قال رسول الله ﷺ: المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة ستراً فيما بينه وبين النار وأعطاه الله تبارك وتعالى بكلّ حرفٍ مكتوبٍ عليها مدينة أو سع من الدنيا سبع مرّاتٍ (١).

وتلبيتاً لنداء الخطباء الذين قالوا معاشر الخطباء دونوا تجاربكم ...وبعد وفقنا الله سبحانه لتدوين سلسلة محاضرات عاشورائية ألقيت في مناسبات مختلفة في حسينيـتنا «حسينية الامام الحسين عليه السلام» والتي نمارس فيها التبليغ والإرشاد وامامة المصلين وباقي الفعاليات العبادية الإلهية واسميتها بــ(تحفة المجالس)، عسى ان ينتفع بها زملائي واخواني الخطباء رحم الله الماضين وحفظ وسدد الباقين.

---

(١) المجلسي، العلامة الحجة فخر الامة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار عليهم السلام، مؤسسة الوفاء، بيروت -لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣ م، ج ٢، ص ١٤٤.

وفي الختام اشكر الله سبحانه ان هيء لي نعمة الأجواء التي تحيطني لاسيما «عقيلتي (١) وحبيبتي ام مصطفى» لإخراج هذه الكلمات الى حيز الوجود ...راجيا بذلك (لي ولها) رحمت ربي في الدنيا والاخرة﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[البقرة/ ١٩٩] وانه سبحانه﴿ سَمِيعُ الدُّعَـاءِ ﴾[آلـ عمران/ ٣٨].

---

(١) [العقيلة]: الكريمة من النساء، ينظر: شمس العلوم، نشوان بن سعيد الحميري.

تتميما للفائدة ننقل لكم خلاصة لمعنى ان الزوجة هي عقيلة الزوج: عقيلته .... فهل الزوجة تقوم بإضافة عقل لعقل زوجها. !! ؟؟

الجواب: عند العرب يقولون (العقال) وهو رباط به (يعقلون) البعير ويضعون ذلك الرباط في قدمه لمنعه من الوقوف والسير كيف يشاء ... أي ان الصفة في عقل البعير بـ (العقال) ان يكون البعير خاضعا لعقلانية عاقله فلا يتحرك الا ان يشاء من عقله ... ويقول العرب (العقال) وهو رباط يوضع فوق الكوفية على الراس ...وهو ينحى نفس المنحى في عملية ربط (ربط الكوفية) مع الراس ومنع الرياح او حركات الشخص نفسه من العبث بالكوفية لتخضع حصرا الى عقلانية ... لو عدنا الى مراصد فطرية في مجتمعاتنا الصغيرة التي تشملها معارفنا الشخصية سنجد ان هنالك عرفا مجتمعيا عند كل الناس ان الشاب حين يتزوج (يعقل) وتحصل لديه رصانة عقلية مختلفة عن ايام العزوبية فيصبح بحق ان زوجته كانت وتكون (عقيلته) ...لو عطفنا بصائرنا على النص القرآني والذي فيه إشارة لهذه العقلانية لادركنا ذلك قال تعالى ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم/ ٢١]، فالمودة والرحمة هي فاعليات عقلانية محض تنقلب الى فاعليات مادية مرئية ... اما كيف تكون عقيلة العاقل (زوجته) عقلا مضافا للزوج العاقل فهذا له بحث اخر /منقول من موقع www.islamicforumarab.com / بتصرف.

تنبيه:

١. مصادر الكتاب اعتمدنا على ما اقتبسناه من الأبحاث والكتب والمقالات ولم ندقق فيها كثيرا .

٢. الكتاب هو حصيلة لأبحاث مقتبسة من عشرات الكتب والمقالات وبعضها أشرنا لمؤلفيها والبعض الاخر لم نشر «سهوا او غفلتا او لم نستذكر مصدره حين تدوينه في الملاحظات قبل التأليف».

٣. بعض المحاضرات قدحة او فكرة تم اقتباسها لتصبح تحفة فنية.

٤. أبحاث الكتاب رتبناها فنيا حسب طريقتنا المعتادة في التأليف.

يوسف الناجي

الثاني من شوال

أربعمائة وإحدى واربعون بعد الالف من الهجرة

الموافق السادس والعشرون من أيار الفان وعشرون

الموضوع: الأمانة الإلهية حقيقتها معطياتها/١

قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

وقفة اجمالية مع الآية الشريفة

هذه الآية الشريفة تبيّن أنّ الإنسان يحتل موقعاً سامياً جدّاً بحيث يستطيع أن يكون حامل رسالة الله العظيمة، وكيف أنّه إذا ما جهل قيمه الحياتية والوجودية سيظلم نفسه غاية الظلم، وينحدر إلى أسفل سافلين قال تعالى﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين/ ٥]! .

ولذا قال سبحانه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

حمل الأمانة الإلهية أعظم إفتخارات البشر

اذن الآية تبين مقام وشأن عظيم للإنسان وهو التكريم الإلهي يقول سبحانه ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[الإسراء/ ٧٠] وانه الخليفة الرباني قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة/ ٣٠].

وقفة حوارية في سؤال وجواب مع مفردات الآية الشريفة

السؤال الأول: ما هو المراد من الأمانة؟

الجواب:

لقد ذُكرت تفاسير مختلفة للأمانة ومن جملتها:

١. هي الولاية الإلهية، وكمال صفة العبودية، والذي يحصل عن طريق المعرفة والعمل الصالح.

٢. صفة الإختيار والحرية والإرادة التي تميّز الإنسان عن سائر الموجودات.

٣. العقل الذي هو ملاك التكليف، ومناط الثواب والعقاب.

٤. أعضاء جسم الإنسان، فالعين أمانة الله، ويجب الحفاظ عليها وعدم إستعمالها في طريق المعصية، والأُذن واليد والرجل واللسان كلّها أمانات يجب حفظها.

٥. الأمانات التي يأخذها الناس بعضهم من بعض، والوفاء بالعهود.

٦. معرفة الله سبحانه.

٧. الواجبات والتكاليف الإلهيّة كالصلاة والصوم والحجّ.

المختار من بين التفاسير والاقرب للحقيقة

من أجل الحصول على جواب جامع كاف، يجب أن نلقي نظرة على الإنسان لنرى أي شيء يمتلكه وتفتقده السماوات والأرضون والجبال؟

إنّ الإنسان موجود له استعدادات وقابليات يستطيع من خلال استغلالها أن يكون أتمّ مصداق لخليفة الله، ويستطيع أن يصل إلى قمّة العظمة والشرف باكتساب المعرفة وتهذيب النفس وتحصيل الكمالات، وأن يسمو حتّى على الملائكة ففي الرواية عن عبد الله بن سنان قال: «سألت أبا عبد الله جعفر بن

محمد الصادق عليه السلام فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلًا بلا شهوة، وركّب في البهائم شهوة بلا عقل، وركّب في بنى آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم» (١).

إنّ هذا الاستعداد المقترن بالحرية والإرادة والاختيار يعني أنّ الإنسان يطوي هذا الطريق بإرادته واختياره، ويبدأ فيه من الصفر ويسير إلى ما لا نهاية.

ففي جانب الكمال يصل أرقى درجات الكمال قال تعالى ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ﴾ [النجم/ ٨، ٩].

وفي جانب الانحدار والتسافل يقول عنه سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

وقال عزّ وجلّ ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان/ ٤٤].

(١) مناقب آل أبى طالب، ابن شهر اشوب المازندرانى (ت: ٥٨٨ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ، ج ١ ص ١٥٥، نقلا عن فلسفة الدين، ص: ٦٢ لآية الله العظمى السيد كمال الحيدري.

إنّ السماء والأرض والجبال تمتلك نوعاً من المعرفة الإلهية، وهي تذكر الله سبحانه وتسبّحه، وتخضع لعظمته وتخشع لها وتسجد، إلاّ أنّ كلّ ذلك ذاتي وتكويني وإجباري، ولذلك ليس فيه تكامل ورقي، والموجود الوحيد الذي لا ينتهي منحنى صعوده ونزوله، وهو قادر على ارتقاء قمّة التكامل بصورة لا تعرف الحدود، ويقوم بكلّ هذه الأعمال بإرادته واختياره، هو الإنسان، وهذه هي «الأمانة الإلهيّة» التي امتنعت من حملها كلّ الموجودات، وحملها الإنسان!

حقيقة الأمانة

اذن الأمانة الإلهية هي قابلية التكامل غير المحدودة والممتزجة بالإرادة والاختيار، والوصول إلى مقام الإنسان الكامل، وعبودية الله الخاصّة وتقبّل ولاية الله.

توافق اراء المفسرين حول الأمانة

ويمكن أن نعبّر هنا عن هذه الأمانة بتعبير آخر ونقول: إنّها التعهّد والالتزام وقبول المسؤولية.

بناءً على هذا فإنّ أُولئك الذين فسّروا الأمانة بصفة الاختيار والحرية في الإرادة، قد أشاروا إلى جانب من هذه الأمانة العظمى، كما أنّ أُولئك الذين فسّروها بالعقل، أو أعضاء البدن، أو أمانات الناس لدى بعضهم البعض، أو الفرائض

والواجبات، أو التكاليف بصورة عامّة، قد أشار كلّ منهم إلى غصن من أغصان هذه الشجرة العظيمة المثمرة، واقتطف منها ثمرة (١) .

معنى عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال

السؤال الثاني: ما معنى عرضها على السماوات والأرض والجبال؟

الجواب: قيل:

١. أنّ الله سبحانه قد منح هذه الموجودات شيئاً من العقل والشعور ثمّ عرض عليها حمل هذه الأمانة؟

٢. السماوات والأرض قارنت حجم هذه الأمانة مع ما لديها من القابليات والاستعدادات أعلنت عدم لياقتها واستعدادها عن تحمّل هذه الأمانة العظيمة.

ويبدو أنّ المعنى الثّاني هو الأنسب، وبهذا فإنّ السماوات والأرض والجبال قد صرخت جميعاً بأنّا لا طاقة لنا بحمل هذه الأمانة.

المبحث الروائي لبيان معنى الأمانة

أمّا ما ورد في روايات عديدة وردت عن أهل البيت عليهم السلام من تفسير هذه الأمانة بقبول ولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وولده عليهم السلام ، فمن أجل أنّ ولاية الأنبياء

---

(١) **سؤال** : لماذا عُبّر عن هذا الأمر بالأمانة، مع أنّ كلّ وجودنا وكلّ ما لدينا أمانة الله؟

الجواب: وذلك لأهميّة امتياز البشر العظيم بحرية الاختيار والارتقاء نحو مدارج الكمال، وإلاّ فإنّ بقية المواهب أمانات الله أيضاً، غير أنّ أهميّتها تقلّ أمام هذا الامتياز.

والأئمّة نور ساطع من تلك الولاية الإلهية الكليّة، والوصول إلى مقام العبودية، وطي طريق التكامل لا يمكن أن يتمّ من دون قبول ولاية أولياء الله.

- عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنّه سئل عن تفسير آية عرض الأمانة، فقال: «الأمانة الولاية، من إدّعاها بغير حقّ كفر» (١).

اذن اهل البيت عليهم السلام هم امانة الله قال تعالى ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ [الشورى/ ٢٣] لأنهم هم من يأخذون بيد عالم الإمكان نحو الرقي والكمال لاسيما سيدهم وامام الأئمة رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول شيبتني سورة هود (٢) لأنه امره الله سبحانه بتربية الامة على الاستقامة والاخذ بأيديهم قال تعالى ﴿ فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾[هود/ ١١٢].

الأمانة في جيش الإمام الحسين عليه السلام

---

(١) تفسير البرهان، المجلّد ٣، صفحة ٣٤١ ذيل الآية مورد البحث ، نقلا عن الشيرازي، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مطبعة الاميرة، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ،٢٠٠٥ م.

(٢) جاء في الحديث المرفوع إلى النبي المصطفى صلى الله عليه وآله : " شيبتني هود " ،شرح نهج البلاغة : ١١ ، ٢١٣ ، قال الطبرسي رحمه الله : قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية، ولذلك قال لأصحابه: حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله – شيبتني، هود والواقعة ، العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٥٢.

فانظر أيها الحبيب للإمام الحسين عليه السلام وهو في أحلك الظروف وبحاجة للناصر والمعين كيف يربي الامة على حفظ الأمانة وأداء حقوق الناس ففي الخبر المنبري عندما خرج إلى كربلاء التفت في الطريق إلى من معه وأخبرهم بأنّ من كان مديناً فليرجع ولا يصحبنا إلى كربلاء، وقد رجع جمع ممن صحب الإمام عليه السلام ...!!!

خطبة الإمام الحسين عليه السلام الأولى يوم عاشوراء

بعد أن صفّ ابن سعد جيشه للحرب، دعا الإمام الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بصوت عال يسمعه جلّهم: أيّها الناس اسمعوا قولي، ولا تعجلوا حتّى أعظكم بما هو حق لكم عليَّ، وحتّى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري، وصدّقتم قولي، وأعطيتموني النصف من أنفسكم، كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا منّي العذر، ولم تعطوني النصف من أنفسكم، فاجمعوا أمركم وشركاءكم، ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين.

فلمّا سمعت النساء هذا منه صحن وبكين، وارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس، وابنه علياً الأكبر، وقال لهما: «سكتاهن، فلعمري ليكثر بكاؤهن».

ولمّا سكتن، حمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمّد وعلى الملائكة والأنبياء، وقال في ذلك ما لا يحصى ذكره، ولم يسمع متكلم قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه، ثمّ قال:« الحمد لله الذي خلق الدنيا، فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرنّكم هذه الدنيا، فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنبكم رحمته، فنعم الرب ربّنا، وبئس العبيد أنتم.

أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمّد ﷺ ، ثمّ إنّكم زحفتم إلى ذرّيته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم، فبعداً للقوم الظالمين» .

أيها الناس: انسبوني من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، وانظروا هل يحل لكم قتلي، وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه؟

أو ليس حمزة سيّد الشهداء عم أبي؟ أو ليس جعفر الطيار عمّي؟

أو لم يبلغكم قول رسول الله ﷺ لي ولأخي: « هذان سيّدا شباب أهل الجنّة» ، فإن صدّقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمّدت الكذب منذ علمت، أنّ الله يمقت عليه أهله، ويضرّ به من اختلقه، وإن كذّبتموني، فإنّ فيكم من أن

سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبرونكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟.

فقال الشمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك.

ثمّ قال الحسين عليه السلام : إن كنتم في شك من هذا القول، أفتشكّون فيّ أنّي ابن بنت نبيكم؟ فو الله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم، ولا في غيركم، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص جراحة؟

فأخذوا لا يكلّمونه، فنادى عليه السلام: يا شبث بن ربعي، ويا حجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن أقدم، قد أينعت الثمار، واخضرّ الجناب، وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة؟.

فقالوا: لم نفعل.

فقال عليه السلام: سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم.

ثمّ قال عليه السلام : أيها الناس: إذا كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمن من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم بني عمّك؟ فإنّهم لن يروك إلاّ ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه؟

فقال عليه السلام : أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل، لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، عباد الله إني عذت بربّي وبربّكم إن ترجمون، أعوذ بربّي وربّكم من كل متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب.

ولكن تبا وترحا لهذه الامة والتي لم تحفظ وصية نبيها صلى الله عليه وآله في اهل بيته عليهم السلام ...انظر لكربلاء وما جرى فيها على سيد الشهداء عليه السلام بعد مصرعه كان طريحا على التراب مسلوب العمامة والرداء مذبوح من القفا ...ولكن في الجانب الاخر (المعنوي) جعل الله سبحانه الانوار تسطع من جسده الشريف كالعمود المتصل بالسماء ومن خلاله اهتدت الحوراء زينب عليها السلام إلى جسده عليه السلام ليلة الحادي عشر من المحرم حيث نزلت في تلك الليلة تتخطى القتلى وتعثر بأشلائهم وهي تنادي: وا حسيناه، وا أخاه، وا ضيعتنا بعدك.

إليك جيت خـــويه ابهودة الليل   اشرب دمـع واگـبـع بـالـعـويـل
واتــعــثــر ابـين الـمـچـاتـيـل   او تميـل الـرزايا امنين ما ميل
يحســين يـا حـد الـريـاجـيـل   صـفينه حرم ما مش لنا اچفيل
چفيـــل الحرم وجعـــان واعلـــيل

وصلت إليه رأته عاري الجسد مقطع الأعضاء جثة بلا رأس صاحت:

نــايــم اخــويــه اشـــولــن نــومــه   او حــر الشـــمــس غــير ارســـمــومــه

او سلبـــــــت بني أميه اهــــــدومه

الموضوع: الأمانة الإلهية حقيقتها معطياتها/٢

قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

خلاصة لما مضى في المحاضرة الأولى

الآية الشريفة تبيّن أنّ الإنسان يحتل موقعاً سامياً جدّاً بحيث يستطيع أن يكون حامل رسالة الله العظيمة...ولكنه قد يجهل هذه الحقيقة ولذا قال سبحانه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

المراد من الأمانة

لقد ذُكرت تفاسير مختلفة للأمانة ومن جملتها:

١. هي الولاية الإلهية، وكمال صفة العبودية، والذي يحصل عن طريق المعرفة والعمل الصالح.

٢. صفة الإختيار والحرية والإرادة التي تميّز الإنسان عن سائر الموجودات.

المختار من بين التفاسير والاقرب للحقيقة

الاستعداد المقترن بالحرية والإرادة والاختيار والذي يعني أنّ الإنسان يطوي هذا الطريق بإرادته واختياره، ويبدأ فيه من الصفر ويسير إلى ما لا نهاية.

ولهذا ينسب لأمير المؤمنين عليه السلام بحق هذا الانسان:

وَتَحْسَـــبُ أَنَّـكَ جُـرْمٌ صَـــغِـيرٌ   وفـيـك إنـطَـوَى الـعـالَمُ الأكـبرَ

معنى عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال

سؤال: ما معنى عرضها على السماوات والأرض والجبال؟

الجواب: قيل:

١. أنّ الله سبحانه قد منح هذه الموجودات شيئاً من العقل والشعور ثمّ عرض عليها حمل هذه الأمانة؟

٢. السماوات والأرض قارنت حجم هذه الأمانة مع ما لديها من القابليات والاستعدادات أعلنت عدم لياقتها واستعدادها عن تحمّل هذه الأمانة العظيمة.

ويبدو أنّ المعنى الثّاني هو الأنسب، وبهذا فإنّ السماوات والأرض والجبال قد صرخت جميعاً بأنّا لا طاقة لنا بحمل هذه الأمانة.

بعد هذه الخلاصة ...نعود نكمل بحثنا عند هذه الوقفة

وقفة قرآنية مع إدراك وشعور الموجودات الجمادية ظاهرا

سؤال: هل السماء عاقلة او شاعرة بمن يخاطبها؟

الجواب: نعم في منطق القرآن كل شيء له شعور وحظ من الادراك وكلا بحسبه قال تعالى ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت/ ١١].

وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ ﴾ [سبأ/ ١٠].

وقال سبحانه ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وقال عزّ من قال ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور/ ٤١].

وقل سبحانه مبينا بعض من يشهد علينا يوم القيامة ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[النور/ ٢٤].

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت/ ٢١].

اذن من يتوجه اليه الخطاب وانه مسبح ويتحمل الشهادة لابد له إدراك وشعور...!!

السماوات والأرض والجبال رفضت حمل الأمانة

سؤال: لماذا وكيف أبت هذه الموجودات حمل هذه الأمانة؟

الجواب: بعد ان قارنت حجم هذه الأمانة مع ما لديها من القابليات والاستعدادات أعلنت عدم لياقتها واستعدادها ...

عدم تحمل الامانة من السماوات والأرض جحودا ام اشفاقا؟

سؤال: هل كان رفضها جحودا ام اشفاقا؟

الجواب: واضح رفضها لتحمل هذه المسؤولية وامتناعها عن ذلك لم يكن إستكباراً منها، كما كان ذلك من الشيطان قال تعالى واصفا تعنت الشيطان ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٣٤ ﴾ [البقرة/ ٣٤]، بل إنّ إباءها كان مقترناً بالإشفاق، أي الخوف الممتزج بالتوجّه والخضوع قال سبحانه مبينا حالهن ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [الأحزاب/ ٧٢].

الانسان ظلوم جهول

سؤال: هل كل انسان ظلوماً جهولا؟

الجواب:

وصف الإنسان بهاتين الصفتين ـ وظاهرهما ذمّه وتوبيخه ـ كان نتيجة قبوله لهذه الأمانة؟

من المسلّم أنّ النفي هو جواب هذا السؤال، لأنّ قبول هذه الأمانة أعظم فخر وميزة للإنسان، فكيف يمكن أن يُذمّ على قبوله مثل هذا المقام السامي؟

وحقيقة ذلك الوصف بسبب نسيان غالب البشر وظلمهم أنفسهم، وعدم العلم بقدر الإنسان ومنزلته.

إنّ الإنسان الذي ينادى من العرش، وبني آدم الذين وُضع على رؤوسهم تاج ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء/ ٧٠] والبشر الذين هم وكلاء الله في الأرض بمقتضى قوله سبحانه﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة/ ٣٠]

والإنسان الذي كان معلّماً للملائكة وسجدت له، كم يجب أن يكون ظلوماً جهولا لينسى كلّ هذه القيم السامية الرفيعة، ويجعل نفسه أسيرة هذه الدنيا، وتابعاً لهذا التراب، ويكون في مصاف الشياطين، فينحدر إلى أسفل سافلين؟!

أجل. إنّ قبول هذا الخطّ المنحرف ـ والذي كان ولا يزال له أتباع وسالكون كثيرون جدّاً ـ خير دليل على كون الإنسان ظلوماً جهولا، ولذلك نرى أنّه حتّى آدم عليه السلام نفسه، والذي كان رأس السلسلة ومتمتّعاً بالعصمة، يعترف بأنّه قد ظلم نفسه ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

اذن صفتي الظلم والجهل هما صفتا ذم لمن جهل نفسه وحقيقته ونسي حمل هذه الأمانة وليس للمؤمنين ولذا يعقب المولى سبحانه بعد اية الأمانة بتقسيم افراد البشر إلى ثلاث فئات: المنافقين والمشركين والمؤمنين، فيقول سبحانه ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[الأحزاب/ ٧٣].

المبحث الروائي لبيان معنى الأمانة

- عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال عندما سئل عن تفسير هذه الآية: «الأمانة الولاية...» (١).

الأمانة في واقعة كربلاء الإمام الحسين عليه السلام

فانظر أيها الحبيب للإمام الحسين عليه السلام وهو في أحلك الظروف ...ينصح امة جده رسول الله صلى الله عليه وآله من اجل هدايتهم ...

خطبة الإمام الحسين عليه السلام الثانية يوم عاشوراء

بعد أن خطب الإمام الحسين عليه السلام خطبته الأولى، بجيش عمر بن سعد يوم العاشر من المحرّم، خطب عليهم ثانية لإلقاء الحجّة، بعدما أخذ مصحفاً ونشره على رأسه، فقال: يا قوم إنّ بيني وبينكم كتاب الله وسنّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ استشهدهم عن نفسه المقدّسة، وما عليه من سيف النبي ودرعه وعمامته، فأجابوه بالتصديق.

فسألهم عمّا أقدمهم على قتله؟ قالوا: طاعةً للأمير عبيد الله بن زياد.

فقال عليه السلام : تبّاً لكم أيّتها الجماعة وترحاً، أحين استصرختمونا والِهين، فأصرخناكم موجفين، سَللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا ناراً

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١٠هـ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، الطـــــبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ. ،ج ٣١ ، ص ٥٨٨، ح٥.

اقتدحناها على عدوّنا وعدوّكم، فأصبحتم إلْباً لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلاّ لكم الويلات تركتمونا، والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدَّبا، وتداعيتم إليها كتهافت الفراش، ثمّ نقضتموها، فسُحقاً لكم يا عبيد الأمّة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرّفي الكلم، وعصبة الإثم، ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن.

ويحكم أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون، أجَلْ والله غدرٌ فيكم قديم، وشجت عليه أُصولكم، وتأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر شجٍ للناظر، وأكلة للغاصب.

ألا وإنّ الدعي بن الدعي -يعني ابن زياد- قدْ ركز بين اثنتين، بين السلة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحُجور طابت وحجور طهرت، وأُنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلّة العدد وخذلان الناصر.

ولمّا بقي الحسين عليه السلام وحيداً فريداً، التفت إلى أصحابه وهم مجزّرون كالأضاحي على رمضاء كربلاء، فنادى برفيع صوته:"يا أبطال الصفا، ويا فرسان الهيجاء، مالي أناديكم فلا تجيبون وأدعوكم فلا تسمعون؟! أنتم نيام أرجوكم تنتبهون؟ أم حالت مودّتكم عن إمامكم فلا تنصروه؟ هذه نساء الرسول لفقدكم قد علاهن النحول، فقوموا عن نومتكم يا كرام، وادفعوا عن

حرم الرسول الطغاة اللئام، ولكن صرعكم والله ريب المنون، وغدر بكم الدهر الخؤون، وإلّا لما كنتم عن نصرتي تقصّرون"، ثمّ نادى بصوت حزين أصحابه واحداً واحداً، "يا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين، ويا مسلم بن عوسجة، ويا فلان ويا فلان، حتى نادى أهل بيته أخي أبا الفضل، ولدي علي، بني قاسم...".

نـادى وينكـم يـا أهـل الحـميّـة   غـبـتـوا فـرد غـيـبـة عـلـيْـه
غده يتعتب عليها بگلب مـألوم   يطيب الكم يا فرســان الوغى
تخـلـوني وحـيـد بـين هـالـگـوم   او كـل مـنـهـم لـعـد قـتـلي تـوزم
اشــلون اعيونكم يا اهل الوفا تنام   او تســمعون الحرم لاجت بالخيام
قامت تضطرب عالكاع الأجسام   اورادت تـنـتـهـض لـولا المـحـتـم
خضـــبُوا ومـا شـــابُوا وكـان   خِضابُهُم بِـدمٍ مِن الأوداجِ لا الحِنّاءِ
أطفـالُهُم بلغُـوا الحُلوم بِقُربِهِم   شـــوقـاً إلى الهيجـاءِ لا الحســـناءِ
لمّـــا رَأى السِبطُ أهلَ الوَفَى قُتِلُوا   نَـادَى أبَا الفَضلِ أينَ الفَارِسُ البَطَلُ
أينَ مَنْ دُونِيَ الأروَاحَ قَد بَذَلوا   بالأمسِ كَانوا مَعِي وَاليَومَ قد رَحَلوا
وَخَلَّفُوا في سُوَيْدِ القَلبِ نِيرَانا

الموضوع: ابتلاء التأديب

قال تعالى ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وقفة مقتضبة مع النص

أولا: ما معنى الفتنة في الآية؟

الجواب: تأتي الفتنة بمعنى الابتلاء، (الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار)(١)، ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ ۝٢٥ ﴾ [الأنفال: ٢٥]، أي، (بلية، وقيل ذنباً وقيل عذاباً) (٢) .

ثانيا: سبب النزول

أنّ الآيات تبيّن الضغوط على المؤمنين في ذلك الوقت من قبل أعدائهم وأحياناً من الآباء المشركين والأُمهات المشركات ضدّ أبنائهم المؤمنين.

---

(١) لسان العرب ، لجمال الدّين محمّد بن مكرم المصري الأفريقي المعروف بـ «ابن منظور» ، ، ج١٣، ص٣١٧.

(٢) مجمع البحرين ، للشيخ فخر الدين بن محمّد علي الطريحي ، ج٦، ص٢٩١.

فهذه الآيات تشجّع المسلمين على الثبات والرجولة والاستقامة أمام أمواج الضغوط من قبل الأعداء.

ثالثا: التفسير

أن الإمتحان سنة الهية دائمية، فالامتحان لا يختص بكم ـ أيّها المسلمين ـ بل هو سنة جارية في جميع الأمم المتقدمة ... وينبغي أن يكون الأمر كذلك، لأنّه في مقام الادعاء يمكن لكل أحد أن يذكر عن نفسه أنّه أشرف مجاهد وأفضل مؤمن وأكثر الناس تضحيةً. فلابدّ من معرفة قيمة هذه الإدعاءات بالإمتحان، وينبغي أن تعرف النيات والسرائر إلى أي مدى تنسجم مع هذه الإدعاءات. ؟!

هل هذا الاختبار لشيء لا يعلمه الله سبحانه ام ما هو الهدف؟

﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾

أنّ الله يعرف جميع هذه الأُمور جيداً ـ قبل أن يخلق الإنسان ـ إلاّ أنّ المراد من العلم هنا هو التحقق العيني للمسائل. ووجودها الخارجي...ومن هنا نعرف أن الإمتحانات الإلهية ليست لمعرفة الأفراد، بل هي من أجل تربية الإستعدادات ورعايتها، لتتفتح وتكون بصورة أحسن.

فعلى هذا الامتحان الالهي ليس لكشف المجهول، لأنّه أحاط بكل شيء علماً... بل هو لتربية الإستعدادات وايصال مرتبة «القوة» إلى «الفعل».

من مصاديق الابتلاء: ابتلاء التأديب

أولا: سببه:

ابتعاد المؤمن عن المنهج الربّاني في الحياة، ولا يجعل سلوكه مطابقاً لما يؤمن به، فإن الله سبحانه يبتليه بعذاب تأديبي ليردعه عن المعاصي، ولكي يعود للاستقامة ويتوب إلى الله، وهو بلاء لا تطول مدته، ويتوقف على التوبة والإنابة.

ثانيا: من مظاهره:

١. نقص الثمرات وحبس البركات: قال الإمام علي عليه السلام: إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويُقلعَ مُقلِعٌ، ويتذكر متذكر، ويزدجر مزدجر (١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إذا مُنعت الزكاة منعت الأرض بركاتها (٢).

٢. تسليط الأشرار: تسليط الأشرار تأديب للمؤمنين التاركين لمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لتأمّرنّ

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح ، ص١٩٩.

(٢) أصول الكافي، الكليني، ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، ج٣، ص٥٠٥.

بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر، أو ليسلطنّ الله عليكم شراركم، فيدعو خياركم فلا يُستجاب لهم(١) .

وقال ﷺ : إن الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يظهر المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكرونه(٢) .

وعن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى شعيب النبي: أني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفا من شرارهم، وستين ألفا من خيارهم، فقال عليه السلام : يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار ؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي(٣) .

٣. توالي الأضرار: إذا لم يرتدع المؤمنون عن المعاصي والسيئات تتوالى عليهم الأضرار حتى يعودوا إلى الاستقامة ويصلحوا ما فسد من أمورهم.

قال الإمام علي عليه السلام: لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلاّ فتح الله عليهم ما هو أضرّ منه (٤).

---

(١) كنز العمال، حسام الدين الهندي، ج٣، ص٦٦ .

(٢) المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني، ج٤، ص١٠٠.

(٣) بحار الأنوار ، العلامة محمد باقر المجلسي ، مصدر سابق المجلسي ،ج ١٢ ، ص ٣٨٦ ، ح١٢.

(٤) المصدر ، ج٧٠، ص١٠٧.

٤. غلاء الأسعار وقصر الأعمار وخسران التجارة وانحباس البركات.

قال رسول الله ﷺ : إذا غضب الله على أمّة، لم ينزل العذاب عليها، غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجارتها، ولم تنزل ثمارها، ولم تغزر أنهارها، وحبس عنها أمطارها، وسلّط عليها أشرارها(١) .

٥. جزاء عدم الصبر على المصائب: المصيبة ابتلاء للمؤمنين وعليهم الصبر والاحتمال وذكر الله، وعلى المؤمن أن لا يستعظم المصيبة فيبتليه ربّه بأكبر منها. قال الإمام علي عليه السلام: مَنْ عظّم صـــغار المصائب ابتلاه الله بكبارها (٢) .

٦. ابتلاء الرخاء: الرخاء والخير ابتلاء إلهي وفتنة للمؤمنين لامتحان قيامهم بواجب الشكر عليه والإحسان به للآخرين واستثماره في طرقه المشروعة، والابتلاء بالرخاء والخير قد يكون أشدّ وطأة من الابتلاء بالشدة، لأنّه غالباً ما ينسي الإنسان ويلهيه عن واجباته وتكاليفه.

ومن النعم الابتلائية:

١. النعم والبركات: قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الجن: ١٦].

(١) تحف العقول، الحرّانى، أبو محمد، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، ص٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن محمّد الشافعي المعتزلي، ج٢٠، ص٤٥٤.

٢. الأمـــــوال والأولاد: قال سبـحانه وتعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾ [الأنفال: ٢٨].

الأموال والأولاد من متاع الدنيا الذي غالباً ما يعيق الإنسان عن أداء تكاليفه الشرعية، ولذا كان ابتلاءً للمؤمنين وامتحاناً لهم.

٣ ـ ويبتلي الله عباده بالقوة الجسدية: وبكثرة العدد، كما ابتلى المسلمين في حنين بكثرة عددهم، فأصابهم الغرور والتراخي، وخسروا المعركة لأنهم اعتمدوا على كثرتهم ولم يعتمدوا على الله سبحانه وتعالى قال تعالى ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ٢٥ ﴾ [الـــــتوبة: ٢٥].

٤ ـ ويبتلي الله عباده بالنصر على الأعداء: فهل يشكرون الله وهل يبتعدون عن الزهو والعجب والغرور بالنصر، وهل يحافظون على مقومات النصر.

وخلاصة القول إن المؤمنين يصيبهم البلاء بنوعيَه، ابتلاء الشدة وابتلاء الرخاء، تأديباً لهم لكي يعودوا إلى الاستقامة التي أمرهم الله بها.

وعلى المؤمنين التضرع الى الله سبحانه لدفع او رفع هذا البلاء لذا ورد في دعاء كميل رحمه الله عن امير المؤمنين عليه السلام : اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتى تَهْتِكُ الْعِصَمَ اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتى تُنْزِلُ النِّقَمَ اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتى تُغَيِّرُ النِّعَمَ اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِىَ الذُّنُوبَ الَّتى تَحْبِسُ الدُّعاَءَ اَللّهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتى تُنْزِلُ

الْبَلاَّءَ اَللّهُمَّ اغْفِرْلى كُلَّ ذَنْبٍ اَذْنَبْتُهُ وَكُلَّ خَطَّيئَةٍ اَخْطَاْتُها ... اَللّهُمَّ اِنّى اَسْئَلُكَ سُؤ الَ خاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خاشِعٍ اَنْ تُسامِحَنى وَتَرْحَمَنى وَتَجْعَلَنى بِقِسْمِكَ راضِياً قانِعاً وَفى جَميعِ الاْحْوالِ مُتَواضِعاً (١) .

المصيبة

اذن المخلص والمنجي من البلاء هو العودة الى الله سبحانه والفرار اليه يقول سبحانه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ ﴾ [الذاريات: ٥٠] ومن مصاديق الفرار اليه سبحانه مجالس الذكر والدعاء ومآتم اهل البيت عليهم السلام ...فلنحط رحالنا عند محمد واله عليهم السلام ولنبكي على انفسنا عند ذكر مصائبهم ... قال امامنا الرضا عليه السلام :...إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا ، وَ أَسْبَلَ دُمُوعَنَا ، وَ أَذَلَّ عَزِيزَنَا بِأَرْضِ كَرْبٍ وَ بَلَاءٍ ، أَوْرَثَتْنَا الْكَرْبَ وَ الْبَلَاءَ إِلَى يَوْمِ الِانْقِضَاءِ ؛فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ.

ومن المصائب التي جرت على آلــ البيت عليهم السلام في كربلاء وحدة الحسين عليه السلام ووداع بنات الرسالة

ففي الخبر المنبري لمّا قتل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ولم يبق معه أحد، نظر إلى أهله وصحبه مجزّرين كالأضاحي، وهو مع ذلك يسمع عويل الأيامى وصراخ الأطفال فنادى: هل من ذابٍّ عن حرم رسول الله؟ هل من

(١) مفاتيح الجنان ، القمي ، الشيخ عباس القمي ،مقطع من دعاء كميل رحمه الله .

موحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله في إغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالبكاء.

تنادي يخويـــــه اومالك امعين اوقومـــــك على الرمضـــه مطاعين
أنه امـــنين أجيب المرتضـــى امنين عـــن كـــربلا بويه غبت وين
فـــزعـــوا فـــرد فـــزعـــة عـــلى احســـين

ثمّ وقف بباب خيمة النساء مودّعاً، ونادى: يا زينب، ويا أمّ كلثوم، ويا فاطمة، ويا سكينة، عليكنّ منّي السلام. فأقبلن إليه ودرن حوله.

رد واعـيالـه امـن الـعـطـش يـومـن
اوصـــاح ابصـــوت لـلـتـوديع گـومـن
او مـثـل سرب الـقـطـا گـامـن يحـومـن
تـطـيـح عـلـيـه وحـدتهـن او تـعـثـر

والتفت الحسين عليه السلام إلى ابنته سكينة فرآها منحازة عن النساء وقد رفعت صوتها بالبكاء، فضمّها إلى صدره، وجعل يمسح دموعها بكمّه، وكان يحبّها حبّاً شديداً، وجعل يقول: ...

سَـــيَطُولُ بَعْـدِي يَـا سُـــكِينَـةُ فَـاعْلِمِي
مِــنْـكِ الـبُـكَـاءُ إِذَا الحِـمَامُ دَهَــانِي
لَا تُحْرِقِي قَـــلْبِي بِـــدَمْعِكِ حَسْــــرَةً
مَــا دَامَ مِـــنِّـي الـــرُّوحُ فِي جُـــثْـمَانِي

فَـإِذَا قُـتِـلْـتُ فَـأَنْـتِ أَوْلَى بِـالـذِي

تَــأْتِــيــنَــهُ يَــا خِــيَرَةَ الــنِّسْــوَانِ

وكأني بها عليها السلام تخاطبه

يــبويه انروح كل احنه فــدایاك دخذنه للـــحرب يحسين وياك

أهـــي غيبه يبويـــه واگـــعد اتناك وگولـــن ســافر ويومين يســدر

يــــبويـه گـول لا تخفي عليّه هـذي روحـــتك يو بعـد جيّه

يبويـــــه ان كـان رايح هـاي هيّه اخـذني اويـاك عنّك مكـدر اصــبر

أبوذية

خرَّت دَمْعَـةِ اسْـكَيْنه وَسْــالَـتْ او ذابـت آه مُهْجتْهَـا وَسْــالَـتْ

حِينِ اِنْشِــدَتْ والِـدْهَـا وَسْــالَـتْ تِـرِدْ مِـنْ بَـعْـدَهـا يُـوهـايْ هِـيَّـه

آه ...آه ...

مـا أذلَّ الـيـتـيـمَ حـين يُـنـادي بــأبــيــهِ ولا يــراهُ مُجــيــبــا

الموضوع: الابتلاء وعلاجه

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾ [الملك: ٢].

في النص الشريف بيان للهدف من خلق الإنسان وموته وحياته فيقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ (١).

أحسن عملا: أي التأكيد على جانب (حسن العمل)، ولم تؤكد الآية على كثرته، وهذا دليل على أن الإسلام يعير اهتماما (للكيفية) لا (للكمية)، فالمهم أن يكون العمل خالصا لوجهه الكريم، ونافعا للجميع حتى ولو كان محدود الكمية.

لذا ورد في تفسير (أحسن عملا)، انه الخالص لوجه الله سبحانه، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: أتمكم عقلا، أشدكم لله خوفا، وأحسنكم فيما أمر الله به، ونهى عنه نظرا، وإن كان أقلكم تطوعا (١).

---

(١) الموت: حقيقته الانتقال من عالم إلى عالم آخر، وهذا الأمر وجودي يمكن أن يكون مخلوقا، لأن الخلقة ترتبط بالأمور الوجودية، وهذا هو المقصود من الموت في الآية الشريفة، أما الموت بمعنى الفناء والعدم فليس مخلوقا، لذا فإنه غير مقصود. ثم إن ذكر الموت هنا قبل الحياة هو بلحاظ التأثير العميق الذي يتركه الالتفات إلى الموت، وما يترتب على ذلك من سلوك قويم وأعمال مقترنة بالطاعة والالتزام، إضافة إلى أن الموت كان في حقيقته قبل الحياة.

حيث أن العقل الكامل يطهر العمل، ويجعل النية أكثر خلوصا لله ﷻ ويضاعف الأجر.

أما الهدف من الامتحان او الابتلاء: فهو تربية للإنسان كي يجسد الاستقامة والتقوى والطهر في الميدان العملي ليكون لائقا للقرب من الله سبحانه.

تطبيق للنص الشريف: بلاء المؤمنين

البلاء يرافق المؤمنين في كل مراحل حياتهم، وأشدّ الناس بلاءً هم الأنبياء عليهم السلام، وهذا بحسب الروايات جلي وواضح ومنها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أشد الناس بلاءً في الدنيا النبيّون ثم الأماثل فالأماثل، ويبتلى المؤمن على قدر إيمانه وحسن عمله، فمن صح إيمانه وحسن عمله اشتد بلاؤه، ومَنْ سخف إيمانه وضعف عمله قل بلاؤه (١)،(٢).
- وعن الإمام الكاظم عليه السلام: المؤمن مثل كفتي الميزان، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه (٣).

تطبيق للنص الشريف: ابتلاء المؤمنين

---

(١) تحف العقول، تحف العقول، الحرّانى، أبو محمد، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، ص٢٧.

(٢) هذا للمؤمن واما غيره يكون عقوبة .... .

(٣) أصول الكافي، الكليني، ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني ، باب شدة ابتلاء المؤمن ، ح ١٠ .

١ ـ الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات: قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

فالابتلاء بالشدة في هذه المظاهر يحرك القوة الكامنة في الإنسان لكي يلتجئ إلى الله ويركن إليه لتتعمق العلاقة بينه وبين خالقه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٤].

٣ ـ ضيق المعيشة: الفقر وضيق المعيشة من أوجه الابتلاء والامتحان للمؤمنين لاختبار صبرهم واختبار إيمانهم بقضاء الله وقدره :﴿ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٦]. والابتلاء بضيق المعيشة يتناسب طردياً مع درجة الإيمان، قال الإمام الصادق عليه السلام : كلّما ازداد العبد إيماناً ازداد ضيقاً في معيشته(١) ، (٢) .

---

(١) تحف العقول، بن شعبة الحرّاني، مصدر سابق، ص٢٦٢.

(٢) وهناك نوع من ابتلاء المؤمنين وهو الابتلاء بالكفار: يبتلي الله تعالى المؤمنين بالكفّار وبما يملكون من قوة، من مالٍ وسلاحٍ ورجال ومن وسائل السيطرة، فيجد المؤمنون أن للكفار دولة قوية وأنّ لهم أتباعاً وأنصاراً وهم وحدهم، ويزداد الابتلاء عندما يتباطأ النصر وتضيق الحلقة على المؤمنين.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الأحزاب: ١١،١٠].

والمؤمن الذي يواجه ضيقاً في معيشته يتجه بكل جوارحه إلى الله، وإنّ قلة الرزق امتحان عسير لمعرفة درجة ارتباطه بالله ورضاه بما قسم الله له من الرزق.

وسائل دفع البلاء

سؤال: كيف يدفع البلاء؟

الجواب :

١. الاستغفار: لأن الانحراف والتمرد سبب للبلاء والعذاب، فإذا تاب الإنسان واستغفر فإنه يتّقي البلاء: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

٢. الدعاء: إن الله سبحانه يستجيب لعبده إن دعاه، فيرفع البلاء عنه، قال الإمام علي عليه السلام : ادفعوا أنواع البلاء بالدعاء، عليكم به قبل نزول البلاء(١).

ولذا جاء في دعائه عليه السلام : اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء.

٣. الصدقة: الصدقة وإن كانت لدفع البلاء، إلاّ أنها بنفسها مظهر من مظاهر التراحم في مجتمع المسلمين، والتراحم بنفسه يزيل البلاء ويدفعه.

فالله سبحانه وتعالى هو الناصر الوحيد للمؤمنين، ولكن أراد ابتلاءهم وامتحانهم في مواجهة الكفار: ﴿ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ ﴿٤﴾ ﴾ [محمد: ٤].

(١) تحف العقول، بن شعبة الحرّاني ، مصدر سابق ، ص٧٣.

قال الإمام الباقر عليه السلام : إن الصدقة لتدفع سبعين بليّة من بلايا الدنيا (١) .

٤ ـ الالتزام بالتعاليم الإلهية: وهو الذي يضمن بقاء البلاء امتحاناً واختباراً إلهياً تكون نتيجته فوزاً للمؤمن، وليس نقمة منه.

جزاء الصبر على البلاء:

١ ـ دخول الجنّة بدرجاته العالية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن في الجنة درجة لا ينالها إلاّ أصحاب الهموم(٢) .

وقال الإمام علي عليه السلام : بالمكاره تنال الجنة، بالتعب الشديد تدرك الدرجات الرفيعة والراحة الدائمة(٣) .

٢ ـ تمحيص الذنوب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول البلاء كل يوم، إلى أين أتوجه؟ فيقول الله عزّ وجلّ، إلى أحبائي، وأولي طاعتي، أبلو بك أخيارهم، وأختبر صبرهم، وأمحّصُ بك ذنوبهم، وأرفع بك درجاتهم (٤).

٣ ـ توفير الحسنات: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يكتب أنين المريض، فإن كان صابراً كان أنينه حسنات...(٥) .

---

(١) الكافي ، الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني ، مصدر سابق ، ج٤، ص٦.

(٢) كنز العمال، حسام الدين الهندي، ج٣، ص٦٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم ، آمدى، عبد الواحد بن محمد تميمي ، رقم ١٧٠٦، ١٧٠٩.

(٤) كنز العمال ، حسام الدين الهندي، ج٣، ص٣٤١.

(٥) المصدر ، ص٣١١.

٤ ـ غفران الذنوب ومحو الخطايا: قال رسول الله ﷺ : ساعات الأذى يذهبن ساعات الخطايا(١) .

وقال ﷺ : ذهاب البصر مغفرة للذنوب، وذهاب السمع مغفرة للذنوب، وما نقص من الجسد فعلى قدر ذلك(٢) .

وأهم من كل ذلك هو رضوان الله تعالى على المؤمنين الصابرين، لأنّ الابتلاء جعلهم يتوجهون إلى الله ويخلصون النيّة إليه، ويصلحوا ما فسد من أمورهم، وأفضل من البلاء كتمانه، واعتبر الرسول ﷺ كتمان المصيبة من كنوز البر: ثلاث من كنوز البرّ، كتمان الشكوى، وكتمان المصيبة، وكتمان الصدقة (٣).

المصيبة

نعم أيها المؤمنون الحياة دار بلاء ولعله واحد من أسبابه عدم الطاعة الإلهية ...فيبتلي الأولياء بمصائب جما لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ... لذا ترى سيد الشهداء عليه السلام يقف واعظا ناصحا يوم عاشوراء ففي الخبر دَعَا الْحُسَيْنُ عليه السلام بِرَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا ونَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ... اسْمَعُوا قَوْلِي وَلَا تَعْجَلُوا حَتَّى أَعِظَكُمْ بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ وَحَتَّى أُعْذِرَ إِلَيْكُمْ...،ثُمَّ قَالَ:"

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي ،مصدر سابق ،ج ٦٤ ، ص ٢٤٤،ح٨٣ .

(٢) كنز العمال، حسام الدين الهندي ، ج٣، ص٢٧٧.

(٣) المصدر ، ص٢٧٥.

أَمَّا بَعْدُ، فَانْسُبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وعَاتِبُوهَا فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وانْتِهَاكُ حُرْمَتِي.

أَ لَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وابْنَ وَصِيِّهِ وابْنِ عَمِّهِ وأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِ لِرَسُولِ اللهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟

...فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وهُوَ الْحَقُّ، واللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وإِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ لَوْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ،

...فَقَالَ لَهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ: هُوَ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا تَقَوَّلَ.

فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ: واللهِ إِنِّي لَأَرَاكَ تَعْبُدُ اللهَ عَلَى سَبْعِينَ حَرْفاً، وأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ مَا تَدْرِي مَا يَقُولُ، قَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِكَ.

...فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ: مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ، ولَكِنِ انْزِلْ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُرُوكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ.

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: لَا واللهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ، ولَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ (١).

---

(١) دَعَا الْحُسَيْنُ عليه السلام بِرَاحِلَتِهِ فَرَكِبَهَا ونَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: "يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ...فَقَالَ:" أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي وَلَا تَعْجَلُوا حَتَّى أَعِظَكُمْ بِمَا يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ وَحَتَّى أُعْذِرَ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ أَعْطَيْتُمُونِي النَّصَفَ كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ، وإِنْ لَمْ تُعْطُونِي النَّصَفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَأَجْمِعُوا رَأْيَكُمْ ثُمَّ

لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً، ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ، إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ".

ثُمَّ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وذَكَرَ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وعَلَى مَلَائِكَةِ اللهِ وأَنْبِيَائِهِ فَلَمْ يُسْمَعْ مُتَكَلِّمٌ قَطُّ قَبْلَهُ ولَا بَعْدَهُ أَبْلَغُ فِي مَنْطِقٍ مِنْهُ.

ثُمَّ قَالَ:" أَمَّا بَعْدُ، فَانْسُبُونِي فَانْظُرُوا مَنْ أَنَا، ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ وعَاتِبُوهَا فَانْظُرُوا هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وانْتِهَاكُ حُرْمَتِي.

أَ لَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ وابْنَ وَصِيِّهِ وابْنِ عَمِّهِ وأَوَّلِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِ لِرَسُولِ اللهِ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟

أَ ولَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عَمِّي؟

أَ ولَيْسَ جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ بِجِنَاحَيْنِ عَمِّي؟

أَ ولَمْ يَبْلُغْكُمْ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ لِي ولِأَخِي هَذَانِ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟

فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِمَا أَقُولُ وَ هُوَ الْحَقُّ، وَ اللهَ مَا تَعَمَّدْتُ كَذِباً مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَ إِنْ كَذَّبْتُمُونِي فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ لَوْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ، سَلُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهَ الْأَنْصَارِيَّ، وَأَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، وَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِي وَ لِأَخِي، أَ مَا فِي هَذَا حَاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي "؟!

فَقَالَ لَهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ: هُوَ يَعْبُدُ اللهَ عَلى حَرْفٍ إِنْ كَانَ يَدْرِي مَا تَقَوَّلَ.

فَقَالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ: واللهِ إِنِّي لَأَرَاكَ تَعْبُدُ اللهَ عَلَى سَبْعِينَ حَرْفاً، وأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ صَادِقٌ مَا تَدْرِي مَا يَقُولُ، قَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِكَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ عليه السلام:" فَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ هَذَا أَ فَتَشُكُّونَ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ؟!

السيدة زينب تنفذ وصية أمها فاطمة عليها السلام

وبعد هذا دارت الدائرة فلم يبقى من آلـــ رسول الله صلى الله عليه وآله الا سيد الشهداء عليه السلام فلما أراد ان يتقدم إلى القتال نظر يمينا وشمالا ونادى: ألا هل من يقدم لي جوادي؟ فسمعت زينب عليها السلام نداء الحسين عليه السلام، فخرجت إليه وهي آخذة بعنان الجواد وتقول: أي أخت تقدم لأخيها جواد المنية؟ إلى أن وصلت إلى الحسين عليه السلام قالت له: أخي حسين، لمن تنادي وقد قرَّحت فؤادي؟

فَوَ اللهَّ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ والْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي فِيكُمْ ولَا فِي غَيْرِكُمْ، وَيْحَكُمْ أَتَطْلُبُونِّي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ؟! أَوْ مَالٍ لَكُمُ اسْتَهْلَكْتُهُ، أَوْ بِقِصَاصِ جِرَاحَةٍ "؟!فَأَخَذُوا لَا يُكَلِّمُونَهُ.

فَنَادَى:" يَا شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ، يَا حَجَّارَ بْنَ أَبْجَرَ، يَا قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ، يَا يَزِيدَ بْنَ الْحَارِثِ، أَ لَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثِّمَارُ، واخْضَرَّ الْجَنَابُ، وإِنَّمَا تَقْدَمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ "؟!

فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ: مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ، ولَكِنِ انْزِلْ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُرُوكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ.

فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ:" لَا واللهَّ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ، ولَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ".

ثُمَّ نَادَى: يَا عِبَـادَ اللهَّ، ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠ ﴾ [الدخان: ٢٠]، أَعُـــوذُ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧ ﴾ [غـافر: ٢٧].

ثُمَّ إِنَّهُ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ وأَمَرَ عُقْبَةَ بْنَ سِمْعَانَ فَعَقَلَهَا، وأَقْبَلُوا يَزْحَفُونَ نَحْوَه.

فصبرها الحسين ﴿عليها السلام﴾ ثم ركب جواده، وتقدم نحو القوم، وإذا بصوت الحوراء زينب يملأ سمعه: أخي حسين قف لي هنيئة، إنزل من على ظهر جوادك، نزل الحسين.

قالت: أبا عبد الله اكشف لي عن صدرك، وعن نحرك، فكشف الحسين لها عن صدره، وعن نحره، فشمته في نحره وقبلته في صدره، ثم حولت وجهها نحو المدينة وصاحت: أُماه يا فاطمة قد استرجعت الأمانة، ولما سألها عن سبب ذلك فقالت إنها وصية أمّنا الزهراء ﴿عليها السلام﴾ فتعجب الحسين ﴿عليه السلام﴾ من كلامها، فقال لها: أخية وما الأمانة؟

قالت: إعلم يا ابن والدي، لما دنت الوفاة من أمنا فاطمة، قربتني إليها، شمتني في نحري، وقبلتني في صدري، وقالت لي: بنية هذه وديعة لي عندك، فإذا رأيت أخاك الحسين وحيدا فريدا، شميه في نحره وقبليه في صدره.

ريض يخوي احسين ليه عندي وصيّة امن الزجيه
گالت ابيوم الغاضريه لو شفتي الغالي عليْه
ما ظل له كل واحد يجيه شميه من نحره الشفيه
او حبيه من صدر إليه

من سمع فك احسين صدره لخته او عليه طاحت الحره
نوبه التشمه او تحب نحره او نوبه الذي اتنادي الزهره
اتگلها ابحسب گولچ او أمره اوداع النحبه صار واجره

وحـگ الـزهـره وعـرش الله وصـــدره

صـعب لــــلموت او دعنّه وصــدره

ابلهفه گمــــت أحب نـــحره وصدره

يـزهـره او عـنـچ اديـت الـوصـــيـه

يـا غـائـبـا عـن اهـلـه اتـعـود ام　　تـبقى الى يوم الحساب مغيبا ؟

الموضوع: الأولاد والأموال وسيلة للامتحان

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: ١٤] .

سبب النزول

في تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ وذلك أن الرجل إذا أراد الهجرة تعلق به ابنه وامرأته وقالوا: ننشدك الله أن لا تذهب عنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم، فحذرهم الله أبناءهم ونساءهم، ونهاهم عن طاعتهم، ومنهم من يمضي ويذرهم ويقول: أما والله لئن لم تهاجروا معي ثم جمع الله بيني وبينكم في دار الهجرة لا أنفعكم بشيء أبدا. فلما جمع الله بينه وبينهم أمر الله أن يتوق بحسن وصله فقال﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ [التغابن: ١٤] (١) .

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم طبقا لنقل نور الثقلين ، ج ٥ ، ص ٣٤٢ ، ونقل هذا المعنى باختصار أشد في (الدر المنثور) وتفاسير أخرى لم تكن شاملة كالرواية أعلاه ،نقلا عن تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل ، العلامة ناصر مكارم الشيرازي.

وقفة اجمالية مع النص

الخطاب موجه للمؤمنين وهو تحذير لهم من مغبة الوقوع في الحب المفرط للأولاد والأموال، الذي قد يجر إلى عدم الطاعة لله ورسوله حيث قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ [التغابن: ١٤].

وبأساليب تخفى على الكثيرين قد تكون في ظاهرها الاشفاق والنية الحسنة...

من مصاديق العداوة

إن هناك مظاهر عديدة لهذه العداوة، فأحيانا يتعلقون بثيابكم ليحرموكم خير الهجرة، واخرى ينتظرون موتكم ليسيطروا على أموالكم وثروتكم، وما إلى ذلك.

وتظهر هذه العداوة أحيانا بمظهر الصداقة وتقديم الخدمة، وحينا آخر تظهر بسوء النية وخبث المقصد (١) .

وعلى كل حال فإن الإنسان يصبح على مفترق طريقين، فطريق الله وطريق الأهل والأزواج، ولا ينبغي أن يتردد الإنسان في اتخاذ طريق الله وإيثاره على غيره، ففيه النجاة والصلاح في الدنيا والآخرة. وهذا ما أكدت عليه المولى سبحانه في كتابه العزيز بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ

(١) وأخرى بمنع الحقوق الشرعية عن مستحقيها او المنع من حضور المساجد ... .

وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ (١) عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ [التوبة: ٢٣].

من تطبيقات الآية: الناس اخر الزمان

محنة اخر الزمان وتعلق الناس بالأهل والأولاد والدنيا وترك طريق الله سبحانه على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله: «يأتي على الناس زمان بطونهم آلهتهم ونساؤهم قبلتهم، و دنانيرهم دينهم، وشرفهم متاعهم، لا يبقى من الايمان إلا اسمه، ولا من الاسلام إلا رسمه، ولا من القرآن إلا درسه، مساجدهم معمورة من البناء، وقلوبهم خراب عن الهدى، علماؤهم شر خلق الله(٢) على وجه الارض، حينئذ ابتلاهم الله في هذا الزمان بأربع خصال: جور من السلطان، وقحط من الزمان، وظلم من الولاة والحكام فتعجبت الصحابة

---

(١) الكفر او مظاهره ...

(٢) هنا الحديث عن علماء السوء وما اكثرهم ...واما العلماء الربانيون فاليك أيها الموالي وصفهم ومدحهم على لسان المعصومين عليهم السلام عن أبي محمد عليه السلام قال: قال علي بن محمد عليهما السلام: لو لا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكانها اولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل ، بيان:الذب: الدفع. والشباك بالكسر: جمع الشبكة التي يصاد بها. والمردة: المتمردون العاصون. والفخ: المصيدة. وسكان السفينة: ذنبها.

فقالوا: يا رسول الله أيعبدون الاصنام؟ قال: نعم، كل درهم عندهم صنم»(١).

ويقول امير المؤمنين عليه السلام : «يأتي على النّاسِ زمانٌ همّتهم بطونهم، وشرفهُم متاعُهم، وقبلتُهم نساؤهم، ودينُهم دراهمُهم ودنانيرُهم، أُولَئِكَ شِرارُ الخلق، لا خلاق لهم عند الله»(٢) .

طريقة التعامل مع الأولاد والاهل الموصوفون بوصف العداوة

ومن أجل أن لا يؤدي ذلك إلى الخشونة في معاملة الأهل، نجد القرآن يوازن ذلك بقوله في ذيل نفس الآية ﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ [التغابن: ١٤]

---

(١) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام ، العلامة محمد باقر المجلسي ، مصدر سابق، ج ٢٢ ، ص ٤٥٣.

(٢) مؤسسة نهج البلاغة، اللجنة العليا للتحقيق، موسوعة أحاديث امير المؤمنين عليه السلام، الباب الثامن الفصل الاَوّل الفتن قبل المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ،ح١٣ .

شرط العفو والصفح الندم

فإذا ندموا واعتذروا والتحقوا بكم فلا تتعرضوا لهم بعد ذلك، واعفوا عنهم واصفحوا كما تحبون أن يعفوا الله عنكم (١).

---

(١) تطبيق أخر لمبدئ العفو: حادثة الافك جاء في حديث الإفك أن بعض المؤمنين أقسموا أن يقاطعوا أقرباءهم الذين ساهموا في بث تلك الشائعة الخبيثة وترويجها، وأن يمنعوا عنهم أي عون مالي، فنزل قوله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور: ٢٢] ، يقول العلامة آية الله العظمى ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل في قوله تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور،١١]وليس مهماً ما يكون سبب النّزول، بل المهم أن نعلم من مجموع الآيات هو أنه قد اتهم شخص بريء بعمل مخلّ بالعفة والشرف حين نزول هذه الآيات، وأن الشائعات كانت منتشرة في المدينة، كما يفهم من الدلائل الموجودة في هذه الآية، أن هذه التهمة كانت موجهة لشخص له أهمية خاصّة في المجتمع آنذاك. وأن مجموعة من المنافقين المتظاهرين بالإسلام أرادوا الاخلال بالمجتمع الإسلامي بترويجهم هذه الشائعة، فنزلت هذه الآيات، وتصدّت لهذه الحادثة بقوة، ودفعت المنحرفين والمنافقين الحاقدين إلى جحورهم.

ومهما يكن سبب نزول هذه الأحكام، فإنها لا تخص سبب النّزول وحده، ولا تنصرف لزمانه ومكانه فقط، بل هي أحكام نافذة في كُلِّ بيئة وزمان.

مواصفات العفو والغفران القرآني

وكما يظهر من المعنى اللغوي فإن لغفران الذنب مستويات ثلاثة هي (العفو)بمعنى صرف النظر عن العقوبة ، و (الصفح) في مرتبة أعلى ، ويراد به ترك أي توبيخ ولوم ، و (الغفران) الذي يعني ستر الذنب وتناسبه .

وبهذا فان الآية في نفس الوقت الذي تدعو الإنسان إلى الحزم وعدم التسليم في مقابل الزوجة والأولاد فيما لو دعوه إلى سلوك خاطئ تدعوه كذلك إلى بذل العفو والمحبة في جميع المراحل وكل ذلك من أساليب التربية السليمة وتعميق جذور التدين والإيمان في العائلة.

تجاوز هذه المحنة يقابله الاجر العظيم

وهنا يبين القرآن الكريم أصل كلي حول الأموال والأولاد، حيث يقول سبحانه﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ [التغابن: ١٥].

ما هو الاجر العظيم في القرآن؟

الجواب:

يقول الراغب في مفرداته (١): الأجر والأجرة: ما يعود من ثواب العمل دنيويا كان أو أخرويا، نحو قوله تعالى:

- ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ٧٢]
- ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧] .
- ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [يوسف: ٥٧] .

وهذا الاجر لا يقاس به غيره لعظمته ...وقيل هو الجنة ...

يقول بن عجيبة (٢): الاجر العظيم: يُستحقر دونه مشاق الأعمال المستوجبة له، أو نعيم الدنيا؛ إذ لا قدر له في جانب نعم الآخرة.

وقال: إن الله عنده أجر عظيم، لا يخطر على قلب بشر.

---

(١) الراغب الاصفهاني، الحسين بن المفضل الاصفهاني ،مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مطبعة كلبرك ،ط٦ ،١٤٣١ هـ ، كتاب الالف ، أجر ،ص٦٤ .

(٢) البحر المديد ، ابن عجيبه ،تفسير بن عجيبه العلامة أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة ، ذيل الآية ٢٢ من سورة التوبة .

وللنظر الى الاجر العظيم في كتابه العزيز وما أعده الله سبحانه لمن تجاوز فتن الدنيا ...

- قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ٢٠-٢٢].
- وقال سبحانه ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥].
- وقال ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ

أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الطور: ١٧-٢٧].

بعض الأولاد والأزواج فتنة

وليس كل الأولاد، ولا كل الزوجات كذلك، لهذا جاءت " من " التبعيضية.

قال تعالى﴿ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوًّا ﴾ [التغابن: ١٤].

مصداق للزوجة الصالحة: لأنك لم تقصِّر في إنفاق مالك

روي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : أنّه كان في بني إسرائيل رجل صالح، وكانت له زوجة صالحة، فرأى في المنام رجلاً قال له: لقد قُدّر عمرك كذا مقداراً، وقُدّر أن يكون نصف عمرك في سعة، ونصف عمرك في ضيق، فأيُّهما تختار أولاً؟

فقال الرجل: إنّ زوجتي الصالحة هي شريكتي في حياتي، ويُلزمني مشاورتها. فلمّا أصبح الصبّاح واستشار زوجته قالت له: اجعل النصف الأوّل في يُسر وعجّل لك في العافية، لعلّ الله يرحمنا ويُتمَّ نعمته علينا.

وفي الليلة التالية أتاه في المنام فسأله: ماذا اخترت؟

فأجاب: جعلت النصف الأوّل من عمري في يُسر.

فقال له: ليكن لك ذلك.

فأقبلت عليه الدّنيا من كلّ جانب، ولمّا كثرت عليه النّعمة قالت له زوجته: صِلْ رحمك، وأحسِن لجارك، واجعل لأخيك سهماً من مالك. فقَبِل الرجل ولم يُقصّر في بذل المال حتّى انتهى النصف الأوّل من عمره، فرأى في المنام ذلك الشخص، الذي رآه قبلاً يقول له: لأنّك لم تُقصّر في إنفاق مالك في سبيل الله، فقد شكر الله سعيك، وجعل النصف الثاني من عمرك مثل النصف الأوّل في يُسر وسعة (١).

وفي كربلاء الحسين عليه السلام مشاهد راقية ويحتذى بها ومنها زوجة زهير بن لقين رحمه الله ...

دلهم زوجة زهير بن القين

تنقل بعض المصادر التأريخيّة أنّ الإمام الحسين عليه السلام لمّا التقى زهير بن القين رحمه الله في منزل (زرود) من منازل الطريق إلى الكوفة، أرسل عليه السلام رسوله إلى زهير يدعوه إلى لقائه، وفي البدء لم يكن زهير راغباً في لقاء الإمام عليه السلام وأظهر عدم ميله، لكنّ زوجته (دلهم) عاتبته في ذلك وحثّته على لقاء الإمام عليه السلام قائلة: "أيبعث إليك ابن رسول الله ثمّ لا تأتيه!؟ سبحان الله، لو أتيته فسمعتَ من

---

(١) بحار الأنوار ، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٩٣،ح٦ ، ص ١٦٢.

كلامه ثمّ انصرفت!" ، وما إن ذهب زهير إلى الإمام عليه السلام حتّى عاد حسينيّاً قد انضمّ إلى الإمام عليه السلام (١).

فلعلّ زهير بن القين رحمه الله ما كان ليوفّق إلى الانضمام إلى صفّ الحقّ والفوز بالشهادة في ملحمة عاشوراء الخالدة، لو لم يكن حثُّ وترغيب زوجته "دلهم بنت عمرو" إيّاه على لقاء الإمام عليه السلام .

النموذج الثاني: وهب وأمه وزوجته

وهكذا تجدُ وهبَ النصرانيّ، وقدْ تعلَّقتْ به زوجتُه، وهي تسأله: إلى أينَ تمضي يا وهبُ، وتتركني هنا؟ يقول لها: ارجعي، فتقول له أمُّه: لا تلتفِتْ إليها يا وهبُ، اذهبْ وبيِّضْ وجهي عند فاطمةَ الزهراءَ. يتوجَّهُ وهبٌ ناحيةَ الإمام الحسين، وإذا بصوتٍ يصدَحُ من خلفِهِ يناديه: يا وهبُ، قاتِلْ دون الطيّبين، فداكَ أبي وأمِّي. نَظرَ وهب وإذا بزوجتِهِ تركضُ خلفَهُ، عادَ إليها وهو يقول: أمةَ اللهِ، قبلَ قليلٍ كُنتِ تمنعينَني عن القِتالِ، وأراكِ الآنَ تحثِّينني، ما الذي جَرى؟ قالت: يا وهب، لا تلُمْني، إنَّ واعيةَ الحسينِ كَسَرتْ قلبي، فقال لها: ماذا سَمعتِهِ يقول؟ قالتْ: رأيتُه جالساً ببابِ الخيمةِ ينادي: هل من ناصرٍ ينصرُنا لوجهِ اللهِ؟ هل من معينٍ يعينُنا؟

يِگِلْها هـــالســاعه كِنْتِ تِمْنِعيني   يَهَلْ الحُـــرَّه ولِفيتي تَشـجْعيني

---

(١) ينظر مقتل الحسين عليه السلام ، عبد الرزاق للمقرّم، ص٢٠٨.

وصــوتِـــــج بالحرُبْ زيّد ونيني وعلى الخدِّين ســالتْ دَمعةِ العين

تِــــكِلَّه لا تــــــلومْ الكَلُب لو هَمّ يحـــــگّ لحسين تجري دموعنا دَم

والله ابو السـجاد شِـفْتَه بباب الخْيَم ينادي ولا حِصَـــلَّه بكربلا امْعين

نادى وهب: سيِّدي أبا عبد الله، خذْ زوجتي إليك، أقبَلَ الإمامُ الحسينُ عليه السلام إليها وقال: أَمَةَ الله، كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا، ارجعي، قالت: سيّدي أخافُ أن يُقتلُ زوجي وأُسبَى من بعدِه، فقال لها الإمام: أَمَةَ الله، أَوَما ترضين أن يكونَ مصيرُك كمصيرِ زينبَ وعائلتي؟ قالت: سيّدي، أَوَتُسبى زينب؟! قال: بلى، مِن مجلسٍ إلى مجلسٍ، ومن مكانٍ إلى مكانٍ...

أقولُ: سيِّدي أبَا عبدِ الله، أنتَ كُنْتَ تَرعى النساءَ والأراملَ وتهدِّئ من روعِهِنَّ، وتُسلِّي مصائبَهُنّ، ولكن سيّدي أنا لا أدري ما حالك عندما خرجت الحوراء زينب وهي تنادي: وا أخاه واسيّداه واحسيناه...

نعم أقبلت عليها السلام حتّى وصلت إلى مصرع المولى رأته يجود بنفسه وجراحاته تشخب دماً، جلست عند رأسه وأخذت تخاطبه وتكلّمه: أخي أبا عبد الله، كلّمني بحقّ جدّنا رسول الله، بحقّ أبينا عليّ، بحقّ أمّنا فاطمة كلّمني، فتح الإمام عينيه قال: أخيّة زينب لقد كسرت قلبي وزدت كربي، ارجعي إلى المخيّم واحفظي لي العيال والأيتام...

خويه انا بعيني لباريلك عيالك وبــــروحي لسكتلك اطفالك

خـــويه الموت لو يرضى بــــدالك نروح كل احنا فدا لك

قالت: أخي أبا عبد الله إلى من نلتجئ، إلى من نفزع من بعدك؟ أخي حسين، مات جدّنا رسول الله ففزعنا إلى أبيك عليّ، مات أبونا عليّ ففزعنا إلى أخيك الحسن، مات أخوك الحسن ففزعنا إليك، فإلى من نفزع من بعدك يا أبا عبد الله؟

دحـــاجيني يخويه او ردلي الروح امغمض ليش واعله الگاع مطروح

أظن ما تگدر امن الجروح عمـــت عيني عليك اوبلت روحي

خوي انادي وما يشجيلك نداي ولا تســـمع عتابي ونخواي

انا الـــمن بعد يحسين شكواي خوي ظني انـــقطع وانقطع رجواي

مَنْ لِي حِمًى بَعْدَ الحُسَيْنِ وَمُعْتَصَمْ إِنْ جَلَّ خَطْبٌ فَادِحٌ وَبِنَا أَلَمْ

نَـــادَيْتُ لَمَّـــا غَابَ بَدْرُ سَمَا الكَرَمْ يَــــا غَائِــــباً عَنْ أَهلِهِ أَتَعُودُ أَمْ

تَبْقَى إِلَى يَوْمِ المَعَادِ مُغَيَّبَا؟(١)

---

(١) المصيبة مقتبسة من مجالس السيرة الحسينية ، إعداد معهد سيد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسينيّ جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط١٤٣٣ ، ١٤٣٨ .

الموضوع: التوبة حقيقتها وأهميتها وفضلها/١

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١]

خطاب ونداء من الله سبحانه من اجل الفوز والفلاح قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٩-١٠]

سؤال: ماذا تعني التوبة؟

الجواب : تعني الرجوع الى الله سبحانه بعد اقتراف المعاصي والذنوب والفرار منها الى الله سبحانه ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [الذاريات: ٥٠] لان الذنوب مهلكة ومفوتة للحياة الأبدية الموعودة والتي اعدها الله سبحانه للمؤمنين وما فيها من نعيم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًاۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥]

واما الذنوب فهي تحجب الانسان عن هذا النعيم الابدي ففي الحديث عن الإمام محمّد بن علي الباقر (عليه السلام) : «مَا مِنْ عَبْد مُؤْمِن إلاّ وَفي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً خَرَجَ فِي تِلْكَ النُّكْتَةِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوَادُ،

فَإِنْ تمَادى في الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السَّوَادُ حَتّى يُغَطِّيَ الْبَيَاضَ، فَإِذَا غُطِّيَ الْبَيَاضُ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُهُ إِلَى خَيْرٍ أَبَدَاً، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤] (١).

فضل التوبة في الآيات والروايات

أولا: الآيات

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[البقرة: ٢٢٢] .

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [التحريم: ٨] .
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا ﴾ [هود: ٣].
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هـود: ٩٠]

ثانيا: الأحاديث

- قال رسول الله صلى الله عليه وآله : التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنبه له (٢).

---

(١) أُصول الكافي ، الكليني ، محمد بن يعقوب، ج ٢، باب الذنوب، ح ٢٠، ص ٢٠٩.

(٢)المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني ، ٧،٧، كتاب التوبة، بيان وجوب التوبة وفضلها، إحياء علوم الدين، الغزالي:٤،٥، كتاب التوبة، بيان وجوب التوبة وفضلها.

- وعنه صلى الله عليه وآله: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله وستر عليه. قيل: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله تعالى حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب (١).
- وقال الامام الباقر عليه السلام: الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله تعالى أشد فرحاً لتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها (٢).

وقال الامام الصادق عليه السلام إن الله يفرح بتوبة عبده المؤمن إذا تاب كما يفرح أحدكم بضالته إذا وجدها (٣) .

التوبة النصوحا

سؤال: ما هي التوبة النصوحا؟

الجواب: نتأمل احبتي في حديث امامنا الصادق عليه السلام لمعرفة معنى التوبة النصوحا حيث سؤل عن في قوله تعالى: ﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني: ٢،٤٣٦، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح١٢.

(٢)المصدر: ٢، ٤٣٦، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة ، ح١٣.

(٣) المصدر: ٢، ٤٣٦، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة ، ح١٣.

[التحريم: ٨] قال: هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً. قيل: وأينا لم يعد؟ قال: يا فلان إن الله يحب من عباده المفتن التواب أي يعني كثير الذنب كثير التوبة (١).

فورية التوبة وفلسفتها

أما فوريتها فلا ريب فيها، لأن دفع ضرر الذنوب فوري وجوبه، على أن أصل التوبة هو معرفة كون المعاصي مهلكات...

يقول بن القيم الجوزية (٢) :أن الذنوب والمعاصي تضر وضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان على اختلاف درجاتها ... فالذنب هو الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها وباطنه أقبح من صورته وأشنع وبدل بالقرب بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحا وبالجنة نارا تلظى ... فهان على الله غاية الهوان وسقط من عينه غاية السقوط وحل عليه غضب الرب تعالى فأهواه ومقته أكبر المقت...والذنوب هي التي جعلت الله سبحانه ان يسلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ودمرت ما مرت عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ

(١)أنظر:الزهد، للمحدث الجليل الحسين بن سعيد الأهوازي: ٧٢، باب ١٢ التوبة والاستغفار والندم والإقرار، ح١٩١.

(٢) مقتبس من كتابه: الداء والدواء، باب أضرار الذنوب والمعاصي، بتصرف.

وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: ٦-٨]

والذنوب هي التي مهدت لهلاك قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ۝٦٧ ﴾ [هود: ٦٧].

وينبغي أن يكون [للتائب] عن قرب عهد بالخطيئة، بأن يتندم عليها ويمحو أثرها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١٧ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ(١) وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٨ ﴾ [النساء: ١٧-١٨].

---

(١)وهو إشارة إلى من لا تقبل توبته،وعلّة عدم قبول هذا النوع من التوبة واضحة، لأن الإنسان عند الإحتضار في رحاب الموت تنكشف له الأستار، فيرى ما لم يكن يراه من قبل، فهو يرى بعد انكشاف الغطاء عن عينيه بعض الحقائق المتعلقة بالعالم الآخر، ويشاهد بعينيه نتائج أعماله التي إرتكبها في هذه الدنيا، وتتخذ القضايا التي كان يسمع بها صفة محسوسة، وفي هذه الحالة من الطبيعي أن يندم كل مجرم على جرمه وأفعاله السيئة، ويفرّ منها فرار الذي يرى إقتراب ألسنة اللهب من جسمه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله(١): من ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين:

أحدهما: أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو.

والثاني: أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو.

الرحمة الإلهي متجسدة في قبول التوبة

وتحت هذا العنوان نورد جملة من الأحاديث الشريفة لنلامس مدى الرحمة الإلهية في التوبة ومن هذه الأحاديث:

- قال النبي محمد صلى الله عليه وآله : لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم(٢).

ومن المسلم أن التكليف الإِلهي والإِختيار الرباني للبشر لا يقوم على أساس هذا النوع من المشاهدات والمكاشفات، بل يقوم على أساس الإِيمان بالغيب، والمشاهدة بعيني العقل والقلب ، تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، العلامة ناصر مكارم الشيرازي، الآية « ١٨ من سورة النساء » .

(١) في الإحياء ورد النص عن النبي لقمان عليه السلام من مواعظه لابنه.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ٤، ١٣، كتاب التوبة، بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة.

- وعن الامام الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم: ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنها ليست إلا لأهل الإيمان. قلت: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار في الذنوب وعاد في التوبة؟ فقال عليه السلام : أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته. قلت: فإنه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر؟ فقال: كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة، ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٨ ﴾ [المائدة: ٩٨] يقبل التوبة ويعفو عن السيئات (١).
- عن الامامين الصادق أو الباقر عليهما السلام : إن الله عز وجل قال لآدم j: جعلت لك أن من عمل من ذريتك سيئة ثم استغفر غفرت له. قال: يا رب زدني. قال: جعلت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه. قال: يا رب حسبي (٢).
- وعن الامام الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: إن السنة لكثير من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته ثم قال: إن الشهر لكثير، ثم قال: من تاب قبل موته بجمعة

---

(١)أنظر: الكافي، الكليني، ٢، ٤٣٤، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح٦.

(٢)أنظر: الكافي، الكليني، ٢، ٤٤٠، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطى الله عز وجل آدم عليه السلام وقت التوبة،ح١.

قبل الله توبته، ثم قال: وإن الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال: إن يوماً لكثير من تاب قبل أن يعاين قبل الله توبته (١).

- وعنه عليه السلام إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة. قيل: يدخله الله بالذنب الجنة؟ قال: نعم، إنه ليذنب فلا يزال منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة (٢).

صيدٌ للآخرة

وللعلماء الدور الأبرز علما وعملا تباعا للآيات والروايات لإنقاذ التائهين عن صراط الحق وفي هذا الطريق ننقل لكم أيها الأحبة هذه الحكاية والتي انقذت أحد الضالين عن الطريق السوي ...يقال دخل سارق بيت أحد العلماء الظرفاء، فأخذ يفتش في كل زاوية من البيت فلم يجد شيئاً، فلما همّ بالخروج صفر اليدين، ناداه العالم حيث كان يراقبه: إنك جئت في طلب الدنيا، فليس لدينا من الدنيا شيء، فهل تريد شيئاً من الآخرة؟

قال السارق: نعم.

---

(١) أنظر: الكافي، الكليني: ٢، ٤٤٠، كتاب الإيمان والكفر، باب فيما أعطى الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام وقت التوبة، ح٢.

(٢)الكافي، الكليني، ٢، ٤٢٦، كتاب الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب، ح٣.

فاحتضنه العالم وعلّمه التوبة إلى الله حتى أسفر الصباح فصلّيا وذهبا معاً إلى المسجد للدرس.

فسأله تلامذته عن الرجل: من هذا؟

أجابهم: أنه جاءني البارحة ليصطادني، ولكنّي اصطدته، فجئت به إلى المسجد.

وهكذا أصبح السارق من جملة التائبين المؤمنين.

المصيبة

ومن الوسائل والسبل لإنقاذ العاصين وارشاد التائهين هي مجالس اهل البيت عليهم السلام لعموم البركات التي تحف بها ففي الرواية عن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول لداود بن سرحان: يا داود، أبلغ مواليَّ عني السلام، وأني أقول: رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلاَّ باهى الله تعالى بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإن في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس من بعدنا مَنْ ذاكر بأمرنا ودعا إلى ذكرنا (١).

فلنغسل نفوسنا بذكر سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام ...ففي الخبر ان الامام الحسين عليه السلام يوم العاشر أقبل ونادى: ألا مَنْ يُقدّم لي جوادي وأنا ابن رسول الله ؟ ألا مَنْ يُقدّم لي لامّةُ حَربي وأنا ابنُ أمير المؤمنين عليه السلام ؟ فأقبلت

(١) بحار الأنوار ، المجلسي ، محمد باقر المجلسي، مصدر سابق ، ج١ ،٢٠٢ ح ٨.

زينب ﴿عليها السلام﴾ بالجوادِ تقودهُ وهي تقول ﴿عليها السلام﴾ : ما أجلدني وما أقسى قلبي ؟ أيُّ أُخُتٍ تقود إلى أخيها جواد المنيّه ، ثمَّ التفتت إلى النساء وقالت ﴿عليها السلام﴾ :

قوموا إلى التوديع أنَّ أخــــي دعـا بـجـوادهِ إنَّ الـفِـراقُ طـويـلُ

فخرجنَ ربّاتُ الخـــدورِ عـــواثراً وغدا لها حولَ الحســينِ عويــــلُ

ما يَقربُ من اثنين وثمانين امرأة، مع ستين طفل وطفله، هَرعوا من الخيام وأحاطوا بالحسين ﴿عليه السلام﴾ من كُلِ جانب وعيونهم متجهةٌ نحو الحسين ، الحسينُ يتجهّزُ للحربِ،قد عَزمَ على الموتِ، قد أستسلم للشهادة ، فتواقعن عليه هذهِ تُقبلُ وجههُ ، هذهِ تقع على قدميه هذه تُقبلُ يديه ، هذه تتعلّقُ بطرفِ ردائهِ، هذه تقول : إلى أين يا حمانا ؟ إلى أين يا رجانا ؟

رد وعــــياله أمن العطش يومن وصــاح أبصــوت للتوديع گومن

مثل سرب الـــگطه گامن يحومن تـــطيح أعليه وحدتهن وتعثر

اجت زينب وباجي الحرم يمّه وصـــارن لـلـوداع عـلـيـه لمّه

اجت زيــــنب وباجي الحرم يمه او صـــارت لـلـوداع اعـلـيـه لمه

يشم سكنه وهي گامـــت تشمه يحبها والدمع ليلو ايتنثر

وكأني بلسان حال سكينة:

وصّوا بـــــنا گبلن ترحلون وكبلن على الغبرة تنامون

يحســين منته نور العيون وعلى افراگك يبويه ما اگدر اصبر

الموضوع: التوبة وحقيقتها /٢

أولا: في عمومها

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النور: ٣١]

أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال، فلا ينفك أحد عنه البتة، وعمومها ناشئ من:

١. كل إنسان لا يخلو عن معصية بجوارحه.

٢.او الهم بالذنوب بالقلب.

٣.فإن خلا عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله.

٤.فإن خلا عنه فلا يخلو عن الغفلة والقصور في العلم بالله وصفاته وآثاره بحسب طاقته.

ثانيا: فلسفة توبة الأولياء

سؤال: إذا كانت التوبة عامة فهل تشمل المعصومين عليهم السلام؟

الجواب: هذا يتوقف على معرفة ما يتاب منه.

الذنوب التي يتاب منها

سؤال: ما هي الذنوب المطلوب ان يتاب منها؟

الجواب:

أولا: الرذائل الأخلاقية

وتنحصر في أربع صفات:

١. صفات ربوبية: كالكبر والفخر والتجبر وحب المدح والثناء والعز ودوام البقاء وطلب الاستعلاء ونحوها، وهذه أم المهلكات.
٢. شيطانية: كالحسد والبغي والحيلة والخداع والأمر بالفساد والمنكر والغش والشقاق والدعوة إلى البدع والضلالة.
٣. بهيمية: والبهيمية كالشره والتكالب والحرص والزنا واللواط والسرقة وأكل مال الأيتام ونحوها.
٤. سبعية: يتشعب منها الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم والقتل واستهلاك الأموال ونحوها.

وهذه أمهات الذنوب ومنابعها، وتنفجر الذنوب من هذه المنابع على الجوارح، فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق وإضمار السوء للناس، وبعضها على العين والسمع، وبعضها على اللسان، وبعضها على البطن والفرج، وبعضها على اليدين والرجلين، وبعضها على جميع البدن.

ثانيا: بين العبد وربه سبحانه

كتركه الصلاة والصوم... ونحوهما

ثالثا: ما يتعلق بحقوق العباد (مظالم العباد)

كقتل النفس وغصب الأموال وشتم العرض....

الآن نسأل: هل هذه الذنوب يرتكبها الاولياء (الأنبياء واوصيائهم b) لكي يتاب منها؟

الجواب (١): طبعا وجزما كلا بعد أن ثبتت عصمتهم بأدلّة قرآنية واضحة وقاطعة لا يتأتّى أن تصدر عنهم المعصية ويقترفوا الذنب بمعنى مخالفة مادّة من المواد الدينية التي هم المرسلون للدعوة إليها والقائمون قولًا وفعلًا بالتبليغ لها، والمفترض طاعتهم من عند الله، ولا معنى لافتراض طاعة من لا يؤمن وقوع المعصية منه (٢).

وهذا ما أكّدته الآيات القرآنية بطرق مختلفة، منها أنّ الله سبحانه «كرّر في كلامه أنّ له عباداً يسمّيهم المخلصين، مصونين عن المعصية لا مطمع فيهم للشيطان، فلا ذنب بالمعنى المعروف لهم ولا حاجة إلى المغفرة المتعلّقة بذلك الذنب. وقد

---

(١) للمزيد ينظر كتابنا، الضيافة الإلهية، مؤسسة البلاغ ،بيروت، ط١، ١٤٢٧ هـ، استغفار النبي واله عليهم السلام، ص ١٨٩ – ١٩٥.

(٢) في ظلال العقيدة والأخلاق ، السيد كمال الحيدري ،٣١٨.

نصّ في حقّ عدّة من أنبيائه كإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى أنّهم مخلصون كقوله في إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ ﴾ [ص: ٤٦] وقوله في يوسف: ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٢٤ ﴾ [يوسف: ٢٤] وقوله في موسى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ [مريم: ٥١].

ولهذا يبين العلامة الاربلي قدس سره سبب استغفارهم وتوبتهم عليهم السلام بقوله : «إنّ الأنبياء لمّا كانت قلوبهم مستغرقة بذكر الله ومتعلّقة بجلال الله ومتوجّهة إلى كمال الله، وكانت أتمّ القلوب صفاءً وأكثرها ضياءً وأغرقها عرفاناً وأعرفها إذعاناً وأكملها إيقاناً، كانوا إذا انحطّوا عن تلك المرتبة العلية ونزلوا عن تلك الدرجة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتناكح والصحبة مع بنى نوعهم وغير ذلك من المباحات، أسرعت كدورة إليها؛ لكمال رقّتها وفرط نورانيتها، فإنّ الشى ء كلّما كان أرقّ وأنضر كان تأثّره بالكدورات أبين وأظهر، فعدّوا ذلك ذنباً وخطيئة، فتابوا واستغفروا، وإليه الإشارة في قوله صلى الله عليه وآله :«إنّه ليران (من الرين)على قلبي فأستغفر الله سبعين مرّة»(١).

إذن: تبيّن أنّ من الذنب ما هو غير الذنب المتعارف، وكذا من المغفرة ما هي غير المغفرة بمعناها المتعارف، وعلى هذا ينبغي أن يحمل ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٥٥ ﴾ [غافر:

(١) كشف الغمة لأبي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي، ط١، دار المرتضى ج٣، ٤٠، ٤١.

٥٥] وقوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ٣] وكذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر الله عزّ وجلّ في كلّ يوم سبعين مرّة ويتوب إلى الله عزّ وجلّ سبعين مرّة» (١).

وعليه يُحمل ما حكى الله تعالى عن عدّة من أنبيائه الكرام كقول نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾ [نوح: ٢٨] وقول إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤١] وقول موسى لنفسه وأخيه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وهكذا يحمل على هذا الباب ما حكى عن بعضهم عليهم السلام من الاعتراف بالظلم ونحوه كقول ذي النون: ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وهذا الباب الشريف ينفتح منه معاني اعتراف الأنبياء والأئمة عليهم السلام بذنوبهم وبكائهم وتضرعهم ...واليك أيها المؤمن الحبيب نماذج لذلك:

- قبس من ادعية امير المؤمنين عليٌ عليه السلام ...وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا إِلَهِي بَعْدَ تَقْصِيرِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي مُعْتَذِراً نَادِماً مُنْكَسِراً مُسْتَقِيلاً مُسْتَغْفِراً مُنِيباً مُقِرّاً

---

(١)الاصول من الكافي، ج٢،٥٠٥،كتاب الدعاء، باب الاستغفار ،ح٥ .

مُذْعِناً مُعْتَرِفاً لاَ أَجِدُ مَفَرّاً مِمَّا كَانَ مِنِّي وَلاَ مَفْزَعاً أَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِي غَيْرَ قَبُولِكَ عُذْرِي وَإِدْخَالِكَ إِيَّـــايَ فِي سَعَةِ مِنْ رَحْمَتِكَ (١).

- قبس من ادعية الامام زين العابدين عليه السلام ... إِلهِي أَلْبَسَتْنِي الخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتِي وَأَماتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنايَتِي فَأَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يا أَمَلِي وَبُغْيَتِي وَياسُؤْلِي وَمُنْيَتِي ... ، أَسْأَلُكَ يا غافِرَ الذَّنْبِ الكَبِيرِ وَياجابِرَ العَظْمِ الكَسِيرِ أَنْ تَهَبْ لِي مُوبِقاتِ الجَرائِرِ وَتَسْتُرَ عَلَيَّ فاضِحاتِ السَّرائِرِ وَلا تُخْلِنِي فِي مَشْهَدِ القِيامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَغَفْرِكَ وَلا تُعْرِنِي مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَسَتْرِكَ ... إِلهِي إِنْ كانَ النَّدَمُ عَلى الذَّنْبِ تَوْبَةٌ فَإِنِّي وَعَزَّتُكَ مِنْ النَّادِمِينَ! ....، إِلهِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ وَبِحِلْمِكَ عَنِّي اعْفُ عَنِّي وَبِعِلْمِكَ بِي إرْفِقْ بِي، إِلهِي أَنْتَ الَّذِي فَتَحْتَ لِعِبادِكَ باباً إِلى عَفْوِكَ سَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ فَقُلْتَ: ﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨] فَما عُذْرُ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ البابِ بَعْدَ فَتْحِهِ؟ إِلهِي إِنْ كانَ قَبُحَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ فَلْيَحْسُنُ العَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ ... (٢).

ومن الأحاديث ذات المعاني الجليلة القدر لبيان اقسام التائبين ما روي عن إمامانا صادق اهل البيت عليه السلام يقول: التوبة حبل الله ومدد عنايته، ولابد للعبد من مداومة التوبة على كل حال:

---

(١) مفاتيح الجنان ، القمي ، الشيخ عباس القمي ، دعاء كميل .

(٢)مفاتيح الجنان ، مناجاة التائبين .

- فتوبة الأنبياء من اضطراب السر.
- توبة الأولياء من تلوين الخطرات (١).
- وتوبة الأصفياء من التنفيس.
- وتوبة الخلص من الاشتغال بغير الله.
- وتوبة العالم من الذنوب.

فأما توبة العام فأنْ يغسِل باطنه بماء الحسرة ، و الاعتراف بالجناية دائماً ، و اعتقاد الندم على ما مضى ، و الخوف على ما بقي من عمره ، و لا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلى الكسل ، و يديم البكاء و الأسف على ما فاته من طاعة الله ، و يحبس نفســه عن الشهوات ، و يستغيث إلى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته ، و يعصمه عن العود إلى ما سلف و يروض نفسه في ميدان الجهد و العبادة ، و يقضي عن الفوائت من الفرائض ، و يرد المظالم ، و يعتزل قرناء السوء ، و يسهر ليله ، و يظمأ نهاره ، و يتفكر دائماً في عاقبته ، و يستعين بالله سائلاً منه الاستقامة في سرائه و ضرّائه ، و يثبت عند المحن و البلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين ، فإن في ذلك طهارة من ذنوبه ، و زيادة في عمله ، ورِفْعَة في درجاته ،

---

(١) بيان : تلوين الخطرات : إخطار الأمور المتفرقة بالبال ، و عدم اطمئنان القلب بذكر الله ، و التنفس أي بغير ذكر الله ...،بحار الانوار ، العلامة المجلسي ، محمد باقر المجلسي .

قال الله ﷻ :﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ٣] (١) .

خصائص وعلامات التائب الحقيقي

ولهذا ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أتدرون من التائب ؟ قالوا: اللهم لا، قال: إذا تاب العبد ولم يرض الخصماء فليس بتائب، ومن تاب ولم يزد في العبادة فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير رفقاءه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير فراشه ووسادته فليس بتائب من تاب ولم يغير خلقه ونيته فليس بتائب، ومن تاب ولم يفتح قلبه ولم يوسع كفه فليس بتائب، ومن تاب ولم يقصر أمله ولم يحفظ لسانه فليس بتائب، ومن تاب ولم يقدم (٢) فضل قوته بدنه فليس بتائب، وإذا استقام على هذه الخصال فذاك التائب.

توبة شعوانة

نقل الفاضل النراقي في معراج السعادة أنَّه كان في البصرة امرأة يقال لها (شعوانة) لا يخلو منها مجلس من مجالس الفجور، في يوم من الأيام مرَّت مع

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي، ج ٦، ص ٣١، ح٣٨.

(٢) في النسخ كلها: " ولم يقدم" بالقاف، ولعله بالفاء من قولهم: فدم الابريق وعلى الابريق وضع الفدام عليه، والفدام مصفاة صغيرة أو خرقة تجعل على فم الابريق ليصفي بها ما فيه ، بحار الأنوار، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي.

جمع من إمائها في زقاق من أزقة البصرة، فوصلت إلى بيت يعلو منه الصراخ والضجيج، فقالت: سبحان الله، ما أعجب هذا الصراخ والغوغاء!، وأرسلت واحدة من إمائها؛ لتعرف حقيقة الحال ذهبت تلك الأَمه، ولم ترجع، فأرسلت الثَّانية بعدها، فذهبت ولم ترجع أيضًا، فأرسلت الثَّالثة، وأوصتها أن تعود بسرعة، فلما ذهبت، وعادت، قالت: سيدتي، ليس هذا المجلس للبكاء على ميت، بل هو مأتم للعاصين ذوي الصحائف السُّود، فلما سمعت ذلك (شعوانة)، قالت: آه، لأذهب، وأرى الخبر بنفسي، فلما ذهبت رأت واعظًا يعظ مجموعة من الناس التفوا حوله، يخوِّفهم من عذاب الله وهم مشغولون بالبكاء والأنين، وحين دخلت شعوانة كان الواعظ مشغولًا، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ۝١٢ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١٤﴾ [الفرقان: ١٢-١٤]، فلما سمعت شعوانة هذه الآية أثَّرت فيها، وقالت: يا شيخ، أنا من ذوات الوجوه السود – يعني المذنبين – إذا تبت هل يتوب الله عليَّ؟، فقال الواعظ: نعم، ويقول: يتوب الله عليك حتى إذا كانت ذنوبك مثل ذنوب (شعوانة)، فقالت: يا شيخ، أنا شعوانة لا أعود إلى الذنب بعد اليوم، فقال الواعظ: الله أرحم الرحمين، إذا تبتِ تاب الله عليك فتابت شعوانة، وأعتقت عبيدها، وإماءها، واشتغلت بالعبادة، وقضاء ما فات منها حتى ضعف بدنها، ووصلت إلى غاية العجز في يوم ما نظرت إلى بدنها، وقد

ضعف كثيرًا، وصار نحيفًا، فقالت: آه آه، لقد صرت في هذا الحال في الدنيا، ولا أدري كيف يكون حالي في الآخرة؟، فسمعت هاتفًا يهتف ويقول: ليطمئن بالك، كوني ملازمة لِذِكْرِي حتى أريك جزاءك يوم القيامة.

المصيبة :الصحابي زهير بن القين ﭬ يركب سفينة النجاة

الانسان قد يضل الطريق بسبب العوارض والحجب الدنيوية ولكن الله سبحانه هيئ لنا أسباب النجاة ومن يهدينا اليها والرجوع للصراط المستقيم انهم اهل البيت ﭺ ادلاء الله سبحانه لهداية الإنسانية بل عالم الكون ففي زيارة الجامعة نقراء بحقهم ﭺ : اَلسَّلامُ عَلَى الاْدِلاّءِ عَلَى اللهِ، اَلسَّلامُ عَلَى الَّذينَ مَنْ والاهُمْ فَقَدْ والَى اللهَ، وَمَنْ عاداهُمْ فَقَدْ عادَى اللهِ، وَمَنْ عَرَفَهُمْ فَقَدْ عَرَفَ اللهَ، وَمَنْ جَهِلَهُمْ فَقَدْ جَهِلَ اللهَ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللهِ(١).

فهذا زهير بن القين نال سعادة الدارين ببركة كلمات نيرات من سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين ﭺ ففي الخبر ... كان زهير (٢) رجلا شريفا في قومه، نازلا فيهم بالكوفة، شجاعا، له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن مشهودة. وكان أولا عثمانيا، فحج سنة ستين في أهله. ثم عاد فوافق الحسين ﭺ في الطريق، فهداه، الله وانتقل علويا.

---

(١) مفاتيح الجنان، القمي ، الشيخ عباس القمي.

(٢) عده الشيخ الطوسي في أصحاب الحسين ﭺ ، راجع رجال الشيخ ، ١٠١ ، الرقم ٩٨٣.

روى أبو مخنف عن بعض الفزاريين قال: كنا مع زهير بن القين حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل ، فإذا سار الحسين عليه السلام تخلف زهير ، وإذا نزل الحسين عليه السلام تقدم زهير ، حتى نزلنا يوما في منزل لم نجد بدا من أن ننازله فيه ، فنزل الحسين في جانب ، ونزلنا في جانب ، فبينا نحن نتغذى من طعام لنا ، إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام فسلم ودخل ، فقال : يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام بعثني إليك لتأتيه ، فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأن على رؤوسنا الطير(١).

قال أبو مخنف: فحدثتني دلهم بنت عمرو، امرأة زهير قالت: فقلت له: أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه! سبحان الله لو أتيته فسمعت من كلامه ثم انصرفت، قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشرا قد أسفر وجهه: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه، فقوض وحمل إلى الحسين عليه السلام ، ثم قال لي : أنت طالق ، الحقي بأهلك ، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير ، ثم قال لأصحابه : من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد ، إني سأحدثكم حديثا ، غزونا بلنجر ، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ، فقال لنا سلمان : أفرحتم بما فتح الله عليكم ، وأصبتم من المغانم ؟ فقلنا: نعم. فقال لنا: إذا أدركتم

(١) تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري، ج٣، ص٣٠٢.

شباب آل محمد صلى الله عليه وآله فكونوا أشد فرحا بقتالكم معه بما أصبتم من المغـانم... (١) .

وقال أبو مخنف : لما أجمع عمر بن سعد على القتال نادى شمر بن ذي الجوشن: يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة ، والحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتبيا بسيفه ، وقد وضع رأسه على ركبته من نعاس ، فدنت أخته زينب منه وقالت : يا أخي قد اقترب العدو ، وذلك يوم الخميس التاسع من المحرم بعد العصر ، وجاءه العباس فقال : يا أخي أتاك القوم ، فنهض ثم قال : " يا عباس اركب إليهم حتى تسألهم عما جاء بهم " فركب العباس في عشرين فارسا منهم حبيب بن مظهر وزهير بن القين فسألهم العباس ، فقالوا جاء أمر الأمير بالنزول على حكمه أو المنازلة ، فقال لهم العباس : لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم ، فوقفوا وقالوا له : ألقه فأعلمه ، ثم القنا بما يقول ، فذهب العباس راجعا ، ووقف أصحابه . فقال حبيب لزهير: كلم القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم أنا، فقال زهير أنت بدأت فكلمهم، فكلمهم ....، فرد عليه عزرة بن قيس بقوله: إنه لتزكي نفسك ما استطعت، فقال له زهير: إن الله قد زكاها وهداها فاتق الله يا عزرة، فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية.

---

(١) المصدر :ج ٣ ،ص ٣٠٢ .

فقال عزرة: يا زهير ما كنت عندنا من شيعة هذا البيت إنما كنت عثمانيا.

قال: أفلا تستدل بموقفي هذا على أني منهم! أما والله ما كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسلت إليه رسولا قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت رسولا قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم: فرأيت أن أنصره، وأن أكون في حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه، حفظا لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله ... (١).

وروى أبو مخنف عن الضحاك بن عبد الله المشرقي قال: لما كانت الليلة العاشرة خطب الحسين أصحابه وأهل بيته فقال في كلامه: " هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فإن القوم إنما يطلبوني " .

قام زهير فقال: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك (٢).

---

(١) المصدر :ج ٣ ،ص ٣١٤ .

(٢) المصدر :ج ٣ ،ص ٣١٦ ، راجع الإرشاد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان ،ج ٢ ،ص ٩٢ .

ثُمَّ تَقَدَّمَ زُهَيْرُ بْنُ القَيْنِ...، وَاسْتَأْذَنَ بِالقِتالِ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْكِبِ الحُسَيْنِ عليه السلام، وَهُوَ يَقُولُ:

أَقْدِمْ، فُدِيتَ هادِيًا مَهْدِيًّا   فَاليَوْمَ نَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّا
وَحَسَنًا وَالمُرْتَضَى عَلِيًّا   وَذا الجَناحَيْنِ الفَتَى الكَمِيَّا(١)
وَأَسَدَ اللهِ الشَّهِيدَ الحَيَّا

ثُمَّ بَرَزَ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ، وَيَقُولُ:

أَنا زُهَيْرٌ، وَأَنا ابْنُ القَيْنِ   أَذُودُكُمْ بِالسَّيْفِ عَنْ حُسَيْنِ

وَانْبَرَى يُقاتِلُ قِتالًا، لَمْ يُرَ مِثْلُهُ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِشِبْهِهِ؛ وَكانَ يَحْمِلُ عَلَى القَوْمِ، وَهُوَ يَقُولُ:

إِنَّ حُسَيْنًا أَحَدُ السِّبْطَيْنِ   أَضْرِبُكُمْ وَلا أَرَى مِنْ شَيْنِ
مِنْ عِتْرَةِ البَرِّ التَّقِيِّ الزَّيْنِ   يا لَيْتَ نَفْسِي قُسِّمَتْ نِصْفَيْنِ

فقال الحسين عليه السلام: وأنا ألقاهم على أثرك، وكان يرتجز في حملاته قائلاً:

أنا زُهيْرُ وأنا ابْنُ القيْنِ   أذُودُكُمْ بِالسّيْفِ عـنْ حُسيْنِ

---

(١)ذو الجناحين هو جعفر بن ابي طالب الطيار عليهما السلام، والكمي :أي الفتى الشجاع .

فقتل عدداً كبيراً من الأعداء ثمّ عطف عليه كثير بن عبد الله والمهاجر بن أوس فقتلاه فوقف عليه الحسين ﵇ : لا يبعدنّك الله يا زهير ولعن قاتليك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير.

وقال الحسين ﵇ بعد ذلك لبقيّة أصحابه:يا كرام، هذه الجنّة فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها وهذا رسول الله ﷺ والشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يتوقّعون قدومكم ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيّه وذبّوا عن حرم الرسول.

وخرجت حرائر الرسالة وبنات الزهراء من الخيمة وصحن: يا معشر المسلمين ويا عصبة المؤمنين ادفعوا عن حرم الرسول وعن إمامكم المنافقين لتكونوا معنا في جوار جدّنا رسول الله ﷺ .

طـلـعـت زيـنـب اونـادت   او مـــن عدها الدمع سجـــاب
يـا هـي آنـه تـعـرفـوني   يـفـرسـان الحـرب يـطـيـاب
آنـه الـطـاهـرة أمـي   وبـوي عـلي داحـي الـبـاب
مـاني امـعـوده اعـلى الـذل   اولاني لـلـهضـيـمـة احمـل
خـواتي الـلي دمـعـهـا ايهـل   تـراهـي ابـذمـة الـبـاري

او ذممكم يا ضياغمها

فبكى أصحاب الحسين (عليه السلام) وقالوا نفوسنا دون أنفسكم ودماؤنا دون دمائكم وأرواحنا لكم الفداء فوالله لا يصل إليكم أحد بمكروه وفينا عرق يضرب.

كضـــوا حق العليهم دون الخيـام ولا خلوا خوات احســين تنضــام
لمـــــن طاحوا تفـايض منهم الهام تهـاووا مثـل مهوى النجم من خر

وقـــــفُوا يـدْرؤُون سُــمْر العوالِي عنْـهُ والنـّـــبْـلُ وِقْفـة الأشْــباحِ
أدْركُـوا بِـالحُســـيْنِ أكْـبر عِـيـدٍ فغــــدوْا فِي مِنى الطُّفُوفِ أضاحِي

الموضوع: ابليس وآية الاستغفار

روي في المجالس عن مولانا الصادق عليه السلام قال: عــــــندما نزلت هذهِ الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

الذي علم أبعاد هذه الآية الشيطان الذي يتربص الدوائر ببني آدم، صعد إبليس جبلاً بمكة يقال لهُ جبل ثور فصرخَ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه بصيحة واحدة.

اجتمعت العفاريت بينَ يدي رئيسهم الشيطان.

قالوا: يا سيدنا لم تدعونا؟ قال: نزلت هذهِ الآية فمن لها؟ إن القرآن بشر أصحاب الفواحش بأن الله سيغفر لهم، ماذا أعمل مع هذهِ الآية؟

فقام عفريت من الشياطين: أنا لها بكذا وكذا.

فقال: لست لها.

فقام آخر فقال مثل ذاك.

فقال: لستَ لها.

فقال الوسواس الخناس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعِدُهم وأُمَنِّيْهم حتى يواقعوا الخطيئة، فإذا واقعوها أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنتَ لها فوكَّلهُ بها إلى يوم

القيامة !! ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [النساء: ١٢٠].

يسَوِّفُ لك فإذا وقعتَ أنساكَ الاستغفار، إذاً الشيطانُ نجاحهُ مرهونٌ بأمرين:

١.الوسوسة ﴿ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ ﴾ [الناس: ٥]

٢. إنساء الاستغفار ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٠١] .

المصيبة: نموذج لمن خدع بوسوسة الشيطان

عمر بن سعد ممن قاد حرب في كربلاء وارتكب جريمة بحق اهل البيت عليهم السلام ذهب ضحيتها ال بيت النبي صلى الله عليه وآله وعلى رأسهم سبط النبـــي الامام الحسين عليه السلام.

وبن سعد ممن يعرف ويعلم من هوه الحسين عليه السلام؟.

ولكن حب الدنيا وطمع المنصب وهوس الرئاسة ووسوسة الشيطان من الانس والجن مهد له الطريق لارتكاب تلك الجريمة البشعة ولقد عبّر عمر بن سعد عن ضعف عقله ونفسه، وعن انقياده لهواه في الأبيات المأثورة عنه، والتي منها هذا البيت:

فـوالله مـا أدرى وإنّي لصـــادقٌ أفُـكّـرُ في أمـري عـلى خـطـريـنِ
أأتـركُ مُـلـكَ الـريّ والـريُّ مُـنيـتـي أم أصـبحُ مـأثومـاً بقتـلِ حُـســينِ
حُـســينُ ابـنُ عـمّـي والحـوادثُ جمّـةٌ ولـكـن لي في الـري قُـرةُ عـيـنـي

يـقـولـون إنَّ اللهَ خـالـقُ جـنّـةٍ ونـارٍ وتـعـذيـبٍ وغـلٍّ يـديـنِ
فـإنْ صـــدقوا ممّـا يقولـون إنّني أتـوبُ إلى الـرَّحمـنِ مـن ســنتـينِ
وإنْ كـذبوا فُزنـا بـدنيـا عظيمـةٍ ومُـلـكٍ عـقـيـمٍ دائـمِ الحَـجِـلَـين

قال الراوي: فما لبث أن خرج إلى حرب الحسين عليه السلام وكان أوّل رام بسهم على حرم الحسين، فإنّه خرج من الخيمة بيده القوس فقال: اشهدوا لي عند الأمير فأنا أوّل رام.

ثم رمى السهم نحو الحسين ورمت اصحابه حتى صار السهام كالمطر، ونفذ اللعين أوامر ابن مرجانة بالحسين، منها: انه كتب له امنعه عن شرب الماء هو وأصحابه وعياله وأطفاله، فمنعهم ذلك.

ومنها: كتب إليه بعد قتله احرق مضاربه ومضارب من معه، فحرقها.

ومنها: كتب إليه إذا قتلت حسيناً فأوطئ الخيل صدره وظهره وما أظن إنّ هذا يضرّ به بعد القتل شيئاً، ولكن على قول قد قلته فصنع اللعين ذلك.

والذي زاده هو من نفسه أنّه لمّا صرع الحسين عليه السلام وأقبلوا على سلبه وسلبوه حتى تركوه عُرياناً، فأخذ بن سعد درعه ولبسها ودخل على حرمه، فلمّا رأينه وقد لبس درع الحسين عليه السلام صحن: وا حسينا... وخرجت زينب من الخيمة واضعة عشر أصابعها على رأسها، تنادي: وا جدّاه وا محمّداه... يا جدّ هذا حسينك بالعراء محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والردا ...

يجدّي اگعد وشوف ابنك رميّة

خذوا راسه او جسمه اعلى الوطيه

عليْه اتجول گامت خيل اميّه

او لا ظل بيه مفصل ما تهشم

يجدي شوف أصاويب البصدره

تسع ميّه وألف طعنه وطبره

غير اللي تعدّى الخرز ظهره

شبج فوگه او لعند الخرز فصّم

ثم وجهت ندائها لأبي عبد الله عليه السلام:

بس ما غبت وجفيت يحسين خذوني يسيرة وتدمع العين

للكوفة يو للشام ناوين

اشْيفيد دمعي او صفِگ الايدين سِطَرني الدهَرْ سطْرَه ابسبعين

ابفگْدكَ يسُورْ الهاشميين ما چِنَّه يبْنُ امي محْسَبْين

تِتْفَرَّج علينا الدِواوين

آه ...آه ...

وأعظم ما يشــجي الـــــغيور دخولها

إلى مجلس ما بـارح اللـهو والخـمرا

ابوذية

لـتـوالي الـعـمـر ذاخـرتـك وريـداك

عـفـتـنـي وذبـل يـبـن اُمّـي وريـداك

عسـى سـيف الــــگطع بالطف وريداك

گـطـع مـنـي الـوريـد وعـمـل بـيّـه

تخميس

أخـي ذا فـؤادي ســقـيـمٌ جـريـح وجــــفني عليك يابن اُمّي قريح

ولم لا وأنـــت عـــفـــيرٌ طـــريـــح

أخـــي هُدَّ ركني وصـبري اسُـتبيح وبُـدّد شـــمـلي فـلـم يُجـمـع

الموضوع: أثار الذنوب والمعاصي

قال تعالى ﴿ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤].

وقفة مقتضبة مع النص

أولا: معنى الرين

سؤال: ما هو الرين؟

الجواب: هو الصدأ يعلو الشيء الجليل، ويقول عنه بعض أهل اللغة: إنّه قشرة حمراء تتكون على سطح الحديد عند ملامسته لرطوبة الهواء، وهي علامة لتلفه، وضياع بريقه وحسن ظاهره.

وهنا القرآن يعري جذور الطغيان والعناد، بالقول: ﴿ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤].

ما أشد تقريع العبارة! فقد احتوى صدأ أعمالهم كلّ قلوبهم، فأُزيل عنها ما جعل اللهّ فيها من نور الفطرة الأُولى وذهب صفائها، ولذا. فلا يمكن لشمس الحقيقة أن تشرق بعد في أُفق قلوبهم، ولا يمكن لتلك القلوب التعسة من أن تتقبل نفوذ أنوار الوحي الإلهي إلى دواخلها (١).

ثانيا: معنى الآية في الرواية

---

(١) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة ناصر مكارم الشيرازي، سورة المطففين الآية « ١٤ » .

ففي الحديث: «إنّ العبد إذا أذنب ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن عاد زادت حتى تعلو قلبه، فذلك الرين الذي ذكر اللهّ في القرآن: ﴿ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤] (١).

ثالثا: كلام العلماء في الرين

فآثار ما تقترفه الجوارح من ذنوب تصل إلى القلب وتحوله إلى مستنقع آسن، وعندها لا يقوى الإنسان على تشخيص طريق خلاصه، فيهوى في حفر الضلالة التي توصله لأدنى دركات الإنحطاط، وتكون النتيجة أن يرمي ذلك الإنسان مفتاح سعادته بنفسه من يده، ولا يجني حينها إلاّ الخيبة والخسران.

وروي عن النّبي ﷺ أنه قال: «كثرة الذنوب مفسدة للقلب» (٢).

رابعا: من أسباب الرين والصدأ

من اهم أسباب الرين ارتكاب الذنوب والمعاصي ...تناول القرآن الكريم في مواضع متعددة ما للذنوب من تأثيرات سلبية على إظلام القلب وتلويثه، فقد جاء قوله تعـــالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال في موضع آخر: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٧].

---

(١) المصدر .

وجاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦].

بحث عن آثار المعاصي والذنوب

وللذنوب والمعاصي أثارا شتى وهي أثار سلبية فردية واجتماعية ودنيوية وأخروية واليك جملة من هذه الاثارالسيئة منها (١):

١. تأثيرها على روح الإنسان وقلبه

قال تعالى: ﴿ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤].

والمراد من الآية الكريمة هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب وقد ورد في الحديث: ما من عبد مؤمن الا وفي قلبه نكتة بيضاء فأن أذنب خرج تلك النكتة نكتة سوداء فأن تاب انمحت وان تمادى في الذنوب اتسع ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع إلى خير أبدا (٢).

- وقال المولى أمير المؤمنين عليه السلام:«ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب» (٣).

---

(١) البحث مقتبس من موقع كتابات في الميزان، للكاتب محمد السمناوي ،بتصرف بسيط.

(٢) إرشاد القلوب، الديلمي، ابو الحسن محمد الدّيلمي ، ج ١ ، ص٤٦.

(٣)انظر : علل الشرائع، الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق ص٨١.

- وقال عليه السلام :«لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب»(١).

٢. تأثيرها على عبادة الإنسان ودعائه

إن كثرة الذنوب تسلب توفيق الطاعة والعبادة والتلذذ بالدعاء والمناجاة مع قاضي الحاجات كما أنها تمنع الإجابة.

- عن الامام الصادق عليه السلام :«إن أدنى ما اصنع بعبد اثر شهوته على طاعتي أن احرمه لذيذ مناجاتي» (٢).
- جاء رجل إلى حضرة علي عليه السلام وشكا له عدم قيام الليل فأجابه الإمام عليه السلام أنت رجل قيدتك ذنوبك.
- وعن الامام الصادق عليه السلام :«إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم صلاة الليل وان العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم» (٣).
- وعنه عليه السلام : إن الرجل ليكذب فيحرم بها صلاة الليل فإذا حرم صلاة الليل حرم الرزق » (٤).

---

(١)انظر : الكافي ، الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٢،ص٢٧٥.

(٢)انظر إحياء علوم الدين ، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ج ٤،ص٥٢.

(٣)الكافي ، الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني،ج٢،ص٢٧٢ .

(٤) انظر: التهذيب ، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ،ج ٢،ص١٢٢ .

- وقد ورد في دعاء كميل :«اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء ....فأسألك بعزتك أن لا يحجب عنك دعائي سوء عملي وفعالي» ولا يفوتنا الانتفاع بذكر مقطع من دعاء الإمام السجاد ﴿عليه السلام﴾ الذي علمه لصاحبه أبي حمزة الثمالي حيث قال فيه: «اللهم إني كلما قلت قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك ألقيت علي نعاسا إذا أنا صليت وسلبتني مناجاتك إذا أنا ناجيت مالي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالت قدمي وحالت بيني وبين خدمتك سيدي لعلك عن بابك طرتني وعن خدمتك نحيتني........».

٣. زوال النعم الإلهية بسبب الذنوب والمعاصي

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦] وقد ورد في دعاء كميل «اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم».

إذا كنت في نعمة فرعها فان المعاصي تزيل النعم

- عن الامام الصادق (عليه السلام) :« ما انعم الله عبد نعمة قط فسلبها إياه حتى يذنب ذنبا يستحق بذلك السلب» (١).
- وعنه أيضا (عليه السلام) :« إن العبد ليذنب الذنب فينسى به العلم الذي كان يعلمه»(٢).

شـكوت إلى حكيم سـوء حفظي فـأرشـدني إلى تـرك المـعـاصي

وقـال اعلم بـأن العلم نور ونـور الله لا يـؤتـاه عـاصي

٤. حلول النقمة وجلب المصائب

قال تعالى﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى: ٣٠].

- وعن النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله):«ما اختلج عرق ولا عثرت قدم إلا بما قدمت أيديكم» (٣).

---

(١) انظر: بحار الانوار، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي، ج٧٣، ص٣٧٧.

(٢) المصدر.

(٣) المصدر ،ج ٨١،ص١٩٤ .

- وعنه ﷺ :«إذا غضب الله ﷻ على امة ولم ينزل العذاب غلت أسعارها وقصرت أعمارها ولم يربح تجارها ولم تزك ثمارها ولم تغن أنهارها وحبس عنها الأمطار وسلط عليها أشرارها»(١).
- وعن الامام الصادق عليه السلام :«ما من بلية ولا نقص رزق ولا عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض حتى الخدش إلا بذنب»(٢).

٥. عذاب الآخرة وعقابها

قال تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ [الجن: ٢٣] وروي: «من أذنب وهو ضاحك دخل النار وهو باك» (٣).

٦. تلويث النفس فالذنب

يحدث فيها قسوة وظلمة والقسوة والظلمة تؤديان إلى الجرأة والوحشية والذي يطلع على تـأريخ بني إسرائيل يجد أنهم في ليلة واحدة قتلوا أربعمائة نبي وفي اليوم الثاني ذهبوا إلى أسواقهم وتجارتهم وكأنهم لم يرتكبوا هذه الجرائم البشعة.

---

(١)انظر : الوافي، الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى المشهور بلقب الفيض الكاشاني ج٣،ص١٧٣.

(٢)الكافي ، الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني ،ج ٢،ص٢٦٩.

(٣) بحار الأنوار ، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي ، ج ٦ ، ص ٣٦، ح٥٧ .

إن جميع الأمراض القلبية ليس أمرا تكوينيا أي أن الإنسان لم يخلق قاسي القلب بل هو أمر كسبي أي يبتلى به الإنسان من جراء أقواله وفعاله القبيحة.

٧. نزول البلاء

قال تعالى ﴿ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٦] فالباء سببية أي بسبب الذنوب والمعاصي تحقق نزول البلاء الإلهي وقد ورد في الحديث من يموت بالذنوب أكثر ممن يموت بالآجال.

٨. تسبب الذنوب حجابا بين العبد وخالقه

قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: ١٤-١٥].

حجابا بين العبد وربه وبينه وبين صاحب العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

سوء العمل يحجب عن رؤية امام الزمان عجل الله فرجه

وفي قصة ذهاب علي بن مهزيار الاهوازي إلى مدينة سامراء للتشرف بلقاء الإمام الحسن العسكري وولده المهدي المنتظر عجل الله فرجه حيث سأله الإمام العسكري عليه السلام ما الذي جاء بك يا بن مهزيار؟ قال جئت أسألك عن الإمام المحجوب أي المهدي عجل الله فرجه، فقال له الإمام عليه السلام والله ليس بمحجوب عنكم إنما حجبه سوء أعمالكم وأفعالكم.

٩. ثقل الأوزار التي يحملها العاصي على ظهره

ورد في الخبر: «وان ظهوركم ثقيلة بأوزاركم فخففوا عنها بطول سجودكم» وهذا الثقل يرافقه إلى العالم الأخر وقد بين الإمام زين العابدين ﴿عليه السلام﴾ ذلك بشكل واضح وصريح بقوله بالدعاء: «ابكي لخروجي من قبري عريانا ذليلا حاملا ثقلي على ظهري» (١).

وسمي الذنب وزرا لثقله وسمي الوزير وزيرا لأنه يحمل أعباء الدولة وثقلها(٢).

---

(١) مقطع من دعاء أبي حمزة الثمالي .

(٢) الوزير الذي يحمل أعباء الدولة بكل إخلاص قد انقضى وانصرمت أيامه هذا العصر عصر العقود الوهمية المزورة مع شركات النصب والاحتيال بمبالغ طائلة وضخمة بمليارات الدولارات كما نشاهد بعض الوزارات الخدمية كوزارة الكهرباء مع شديد الأسف على هؤلاء الذين يعيشون في أجواء الغفلة والانغماس بالذنوب وأي ذنوب هي أعظم من سلب حقوق المحرومين من أبناء هذه الأمة.

إن هذه الدنيا لا تستحق أن يكون الإنسان فيها سارقا فاشلا يملأ بطنه بأموال ثم تكون عاقبته جهنم وبئس المصير والله إن الشراب من ماء ساقية واكل الخبز اليابس لهو أشرف من عيشة السراق.

يقول الشاعر:

رغيف خبز يابس تأكله في زاوية ... وكف ماء بارد تشربه من ساقية
وغرفة ضيقة نفسك فيها خالية ... أو مسجد بمعزل عن الردى في ناحية
تتلوا به صحيفة مستدثرا ببارية ... خير من التيجان وقصور ودار عالية

١٠. تؤجج النار على الظهر

ورد في الحديث ينادي ملك في أوقات الصلاة: «قوموا إلى النيران التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفؤها بصلاتكم».

١١. قساوة القلب

هي الناتجة من الذنوب والمعاصي ورد في الحديث «ما قست القلوب الا لكثرة الذنوب».

العلاج

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا فإنّ الحديث جلاء للقلوب، إنّ القلوب لترين كما يرين السيف، وجلائه الحديث» (٣) .

ومن الثابت في علم النفس، أنّ للأعمال الأثر الكبير على نفسية وروحية الإنسان، فنفسية الإنسان تتكيف تدريجياً على ضوء تلك الآثار، وبالنتيجة سينعكس ذلك على فكر وآراء الإنسان.

وينبغي التنويه إلى: أنّ روح الإنسان تتعامل طردياً مع الذنوب، فمع استمرار الذنوب تغوص الروح في أعماق الظلام لحظة بلحظة، حتى تصل إلى درجة يبدأ الإنسان يرى سيئاته حسنات، وربّما يتفاخر بها! وعندها. ستغلق أمامه

أبواب العودة: ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأنعام: ١١١]، وهذه الحال من أخطر ما تعرض للإنسان في حياته الدنيوية (١).

وفي هذا السياق يقول سبحانه ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [البقرة: ١١-١٢]

تأمل أيها المؤمن في هذه اللوحة الفنية الرائعة واعتبر قبل فوات الأوان !!!.

المصيبة

وما وقع في كربلاء الحسين عليه السلام هو من هذا القبيل قتلوا الحسين واله عليهم السلام بدعوى الإصلاح وانطلت هذه الاكذوبة على عموم المسلمين آنذاك ...!!!بينما سيد الشهداء عليه السلام اعلنها يوم خروجه من مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله انه طالب الإصلاح حيث قال عليه السلام :... وَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِرًا، وَلا بَطِرًا، وَلا مُفْسِدًا، وَلا ظالِمًا، وَإِنَّما خَرَجْتُ لِطَلَبِ الإِصْلاحِ في أُمَّةِ جَدِّي رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله ، وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ عليه السلام ؛ أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالمَعْرُوفِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة ناصر مكارم الشيرازي، سورة الانعام، الآية «١١١».

الحَقِّ، فَاللهُ أَوْلَى بِالحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذا أَصْبِرُ، حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ القَوْمِ بِالحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الحاكِمِينَ (١) .

ولكن حال اللئام دون تحقيق الهدف الحسيني ...فاسلم لقضاء الله سبحانه وضرج بدمائه صريعا على رمضاء كربلاء وهو المتلهّف إلى لقاء الله، كما ورد في الشعر الذي يُذكر عن "لسان حاله":

تـركـتُ الخـلـقَ طُـرّاً في هـواكـا　　وأَيـتـمـتُ الـعـيـالَ لـكـي أَراكـا

فـلـو قـطّـعـتـنـي في الحـبّ إربـاً　　لمـا مـال الـفـؤاد إلى سـواكـا

لكن لهفي للزهراء عليها السلام وهي تتفقد ولدها ليلة الحادي عشر من المحرم فرأته بهذه الحال (٢):

شـافـت الزهـرة حسـين محزوز الوريـدين

ليلة إحدى عشـر وهي صاحت آه يحسين

يابني أرد أشـبگك واحط گلبي فوگ گلبك

وابـچـي وانـادي سـاعـدوني يـالمحـبـين

(١) بحار الأنوار ، المجلسي ، محمد باقر المجلسي ،ج ٤٤ ، ص ٣٢٩ ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ، الموفق بن احمد المكي اخطب الخوارزمي ، ج ١ ، ص ١٨٨ـ ١٨٩.

(٢) طبعا الرؤية بعالم الملكوت بناء على ان كل شيء في عالم الملك له واقع في العوالم الأخرى (العقل، المثال).

يحســين يـابني مصـــــــرعـك گطع اگليبي

يـاريـت دونـك يـذبـحـوني يـاحـبـيـبـي

ابـــــروحي فديتك واشربت صــافي حليبي

وابــفرگاك يوليــدي سهرت ياگرة العين

تخميس

قضـــــى ظامياً مـــا ذاق للماء بردَهُ   بحرّ هجيرٍ تصهرُ الشمسُ خـــدَّهُ

فـوالله لـو يـومـاً تـقـومـين بـعـدَهُ   إذاً لَـلَـطَـمْـتِ الخَـدَّ فـاطِـمُ عِـنْـدَهُ

وأَجْـــرَيْـــتِ دَمْــعَ الــعَــيْنِ في الــوَجَــنــاتِ

الموضوع: الختم على القلوب

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ [البقرة: ٦-٧].

وقفة مقتضبة مع النص الشريف

هنا أراد الله سبحانه يبين لنا ان هناك صنف من البشر لا ينفع معهم أي أسلوب من الهداية فهم وصلوا الى طريق مغلق تماما ولهذا عبر عنهم بأنهم مختوم على قلوبهم.

إن الإنذار لا يجدي نفعاً مع هؤلاء، فهم متعنتون في كفرهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾ [البقرة: ٦]

هذه المجموعة غارقة في ضلالها وترفض الانصياع للحق حتى لو اتضح لديها. من هنا كان القرآن غير مؤثر في هؤلاء. وهكذا الوعد والوعيد، لأنهم يفتقدون الأرضية اللازمة لقبول الحق والإستسلام له.

ومن ثم الآية اللاحقة تشير إلى سبب هذا اللجاج والتعصب وتقول: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ﴾ [البقرة: ٧]، ولذلك استحقوا أن يكون ﴿ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

أجهزة استقبال الحقائق معطوبة عند هؤلاء، العين التي يرى المتقون فيها آيات الله، والأُذن التي يسمعون بها نداء الحق، والقلب الذي يدركون به الحقائق، كلها قد تعطّلت وتوقفت عن العمل لدى الكافرين. هؤلاء لهم عيون وآذان وعقول، لكنهم يفتقدون قدرة «الرؤية» و«الإدراك» و«السمع». لأن انغماسهم في الإنحراف وعنادهم ولجاجهم كلها عناصر تشكل حجاباً أمام أجهزة المعرفة.

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[الأعراف/ ١٧٩].

الإنسان قابل للهداية طبعاً ـ إن لم يصل إلى هذه المرحلة ـ مهما بلغ به الضلال، أمّا حينما يبلغ في درجة يفقد معها حسّ التشخيص «فلات حين نجاة» لأنه افتقد أدوات الوعي والفهم، ومن الطبيعي أن يكون في إنتظاره عذاب عظيم.

وفي الآية عدة مباحث

المبحث الأول: الختم على القلوب بين الجبر والاختيار

أول سؤال يطرح في هذا المجال يدور حول مسألة الجبر، التي قد تتبادر إلى الأذهان من قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾ [البقرة: ٧] فهذا الختم يفيد بقاء هؤلاء في الكفر إجباراً، دون أن يكون

لهم اختيار في الخروج من حالتهم هذه. أليس هذا بجبر؟ وإذا كان جبراً فلماذا العقاب؟

القرآن الكريم يجيب على هذه التساؤلات ويقول: إن هذا الختم وهذا الحجاب هما نتيجة إصرار هؤلاء ولجاجهم وتعنتهم أمام الحق، واستمرارهم في الظلم والطغيان والكفر والآيات واضحة الدلالة لبيان هذا المعنى ومنها:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٥].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غـافر: ٣٥].
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية: ٢٣].

كل هذه الآيات تقرر أنّ السبب في سلب قدرة التشخيص، وتوقف أجهزة الإدراك عن العمل يعود إلى الكفر والتكبر والتجبر واتباع الهوى واللجاج والعناد أمام الحق، هذه الحالة التي تصيب الإنسان، هي في الحقيقة ردّ فعل لأعمال الإنسان نفسه.

دركات الانحراف بين «الحالة والعادة والملكة»

من المظاهر الطبيعية في الموجود البشري، أن الإنسان لو تعوّد على انحراف واستأنس به، يتخذ في المرحلة الأُولى ماهية الـ«حالة» ثمّ يتحول إلى «عادة» وبعدها يصبح «ملكة» وجزءً من تكوين الإنسان حتى يبلغ أحياناً درجة لا

يستطيع الإنسان أن يتخلّى عنها أبداً. لكن الإنسان إختار طريق الإنحراف هذا عن علم ووعي، ومن هنا كان هو المسؤول عن عواقب أعماله، دون أن يكون في المسألة جبر. تماماً مثل شخص فقأ عينيه وسدَّ أُذنيه عمداً، كي لا يسمع ولا يرى.

عكس هذه الظاهرة مشهود أيضاً في قوانين الطبيعة، أي إن الفرد السائر على طريق الطهر والتقوى والاستقامة تمتد يد الله ﷻ إليه لتقوّي حاسّة تشخيصه وإدراكه ورؤيته، هذه الحقيقة توضحها الآية الكريمة. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

نماذج للمختوم على قلوبهم

في حياتنا اليومية صور عديدة لأفراد ارتكبوا عملا محرّماً، فتألموا في البداية لما فعلوه واعترفوا بذنبهم، لكنهم استأنسوا تدريجياً بفعلهم، وزالت من نفوسهم حساسيتهم السابقة تجاه الذنب، ووصل أمرهم إلى حدٍّ يجدون اللذة والإنشراح في الإنحراف، وقد يضفون عليه صفة الواجب الإنساني أو الواجب الديني!!

الحجاج بن يوسف الثقفي

وفي تأريخنا الإسلامي ظهر مجرمون سفّاكون مولعون بإزهاق الأرواح والتنكيل بالمسلمين كما ذكر في حالات «الحجاج بن يوسف الثقفي» أنه كان

يضع لأعماله الإجرامية تبريرات دينية، ويقول مثلا: إن الله سلّطنا على هؤلاء النّاس المذنبين لنظلمهم، فهم مستحقون لذلك!!

المغول

وكذلك قيل: إنّ أحد جنود المغول خطب في أحد مدن إيران الحدودية وقال: ألستم تعتقدون أن عذاب الله يصيب المذنبين؟ فنحن عذاب الله عليكم، فلا ينبغي لكم المقاومة.

المبحث الثاني: إصرار الأنبياء على هداية هؤلاء

سؤال: لماذا يصرّ الأنبياء على هداية هؤلاء إذا كانوا لا يهتدون؟

والجواب عليه يتضح لو عرفنا أن العقاب الإلهي يرتبط بمواقف الإنسان العملية وسلوكه الفعلي، لا بما يُكنّه في قلبه من زيغ وضلال فقط. من هنا كان لابدّ من توجيه الدعوة حتى إلى هؤلاء الذين لا يهتدون، بعد ذلك يستحق الفرد العقاب تبعاً لموقفه من الدعوة. بعبارة أُخرى لابدّ من «إتمام الحجّة» قبل العقاب.

بعبارة موجزة: الثّواب والعقاب يتوقفان حتماً على العمل بعد إنجازه، لا على المحتوى الفكري والروحي للفرد.

أضف إلى ما سبق: أن الأنبياء بُعثوا للناس جميعاً، وهؤلاء الذين ﴿ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [النحل: ١٠٨] قليلون في المجتمع، أما الأكثرية فهم التائهون الذين يتقبّلون الهداية ضمن برنامج تعليمي تربوي صحيح.

المبحث الثالث: الختم على القلوب

في الآيات المذكورة وآيات أُخرى عبّر القرآن عن عملية سلب حسّ التشخيص والإدراك الواقعي للأفراد بالفعل «ختم»، وأحياناً بالفعل «طبع» و«ران»(١).

وقد استعمل القرآن كلمة «الختم» هنا للتعبير عن حال الاشخاص المعاندين الذين تراكمت الذنوب والآثام على قلوبهم حتى منعت كلمة الحق من النفوذ اليها وأمست كالختم لا سبيل إلى فتحه.

و«طبع» بمعنى ختم أيضاً.

أما «ران» فمن «الرين» وهو صدأ يعلو الشيء الجليّ، واستعمل القرآن هذه الكلمة في حديثه عن قلوب الغارقين في أوحال الفساد والرّذيلة: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤ ﴾ [المطففين: ١٤].

المهم أن الإنسان ينبغي أن يكون حذراً لدى صدور الذنب منه، فيسارع إلى غسله بماء التوبة والعمل الصالح، كي لا يتحول إلى صفة ثابتة مختوم عليها في القلب.

---

(١) في اللغة «خَتَمَ» الإناء بمعنى سدّه بالطين أو غيره، وأصلها من وضع الختم على الكتب والأبواب كي لا تُفتح، والختم اليوم مستعمل في الإستيثاق من الشّيء والمنع منه كختم سندات الأملاك والرسائل السرّية الهامة. وهناك شواهد من التأريخ تدلّ على أن الملوك وأرباب السلطة كانوا سابقاً يختمون صرر الذهب بخاتمهم الخاص ويبعثون بها إلى المنظورين للاطمئنان على سلامة الصرر وعدم التلاعب في محتوياتها.

والشائع في هذا الزمان الختم على الطرود البريدية أيضاً.

في حديث عن الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام: «مَا مِنْ عَبْد مُؤْمِن إلاّ وَفي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً خَرَجُ فِي تِلْكَ النُّكْتَةِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوَادُ، فَإِنْ تمَادى في الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السَّوَادُ حَتّى يُغَطِّيَ الْبَيَاضَ، فَإِذَا غُطّيَ الْبَيَاضُ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُهُ إِلَى خَيْر أَبَداً، وَهُوَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ [المطففين: ١٤] (١).

المقصود من «القلب» في القرآن

لماذا نسب إدراك الحقائق في القرآن إلى القلب، بينما القلب ليس بمركز للإدراك بل مضخة لدفع الدم إلى البدن؟!

الجواب على ذلك: أن القلب في القرآن له معان متعددة منها:

١. بمعنى العقل والإدراك كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ ﴾ [ق: ٣٧].

٢. بمعنى الروح والنفس كقوله سبحانه: ﴿ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب: ١٠].

٣ـ بمعنى مركز العواطف كقوله: ﴿ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ﴾ [الأنفال: ١٢] وقوله: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

---

(١) أُصول الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب الكليني، ج ٢، باب الذنوب، ح ٢٠، ص ٢٠٩.

لمزيد من التوضيح نقول:

في وجود الإنسان مركزان قويّان هما:

١. مركز الإدراك، ويتكون من الدماغ وجهاز الأعصاب. لذلك نشعر أننا نستقبل المسائل الفكرية بدماغنا حيث يتمّ تحليلها وتفسيرها. « وإن كان الدماغ والأعصاب في الواقع وسيلة وآلة للروح» .

٢. مركز العواطف، وهو عبارة عن هذا القلب الصنوبري الواقع في الجانب الأيسر من الصدر. والمسائل العاطفية تؤثر أول ما تؤثر على هذا المركز حيث تنقدح الشرارة الأُولى.

حينما نواجه مصيبة فإننا نحسّ بثقلها على هذا القلب الصنوبري، وحينما يغمرنا الفرح فإننا نحسّ بالسرور والانشراح في هذا المركز.

صحيح أن المركز الأصلي للإدراك والعواطف هو الروح والنفس الإنسانية، لكن المظاهر وردود الفعل الجسمية لها مختلفة. ردود فعل الفهم والإدراك تظهر أولا في جهاز الدماغ، بينما ردود فعل القضايا العاطفية كالحب والبغض والخوف والسكينة والفرح والهمّ تظهر في القلب بشكل واضح، ويحسّها الإنسان في هذا الموضوع من الجسم.

ممّا تقدم نفهم سبب ارتباط المسائل العاطفية في القرآن بالقلب « العضو الصنوبري المخصوص» ، وارتباط المسائل العقلية بالقلب « أي العقل أو الدماغ» .

أضف إلى ما تقدم أنّ عضو القلب له دور مهم في حياة الإنسان وبقائه، وتوقفه لحظة يؤدي إلى الموت، فماذا يمنع أن تنسب النشاطات الفكرية والعاطفية إليه؟! (١) .

---

(١) فائدة: لماذا جاءت «قُلُوبُهُمْ» و«أَبْصَارُهُمْ» بصيغة الجمع، و«سَمْعُهُمْ» بصيغة المفرد؟

يتكرر في القرآن استعمال القلب والبصر بصيغة الجمع: قلوب وأبصار، بينما يستعمل السمع دائماً بصيغة المفرد، فما السرّ في ذلك؟

قبل الإجابة لابد من الإشارة إلى أن القرآن استعمل السمع والبصر بصيغة المفرد أيضاً كقوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

الشّيخ الطّوسي رحمه الله في تفسير «التبيان» ذكر نقلا عن لغوي معروف، أن سبب ذلك قد يعود إلى أحد أمرين:

أوّلا: إن كلمة «السمع» قد تستعمل باعتبارها اسم جمع، ولا حاجة عندئذ إلى جمعها.

ثانياً: إن كلمة «السمع» لها معنى المصدر، والمصدر يدل على الكثير والقليل، فلا حاجة إلى جمعه.

ويمكننا أن نضيف إلى ما سبق تعليلا ذوقياً وعلمياً هو أن الإدراكات القلبية والمشاهدات العينية تزيد بكثير على «المسموعات»، ولذا جاءت القلوب والأبصار بصيغة الجمع، والفيزياء الحديثة تقول لنا إن الأمواج الصوتية المسموعة معدودة لا تتجاوز عشرات الآلاف، بينما أمواج النور والألوان المرئية تزيد على الملايين.

المصيبة ...الشمر بن ذي الجوشن ومن يشاكله من المختوم على قلوبهم

عاشوراء الحسين عليه السلام كانت نقطة حاسمة بين معسكرين الأول خط النبوة والرسالة متمثلة بسيد الشهداء عليه السلام والمعسكر الثاني خط الانحراف تمثل بيزيد بن معاوية ومع هذا ان الامام عليه السلام لم يتركهم بدون تذكير ووعظ هذا كله لإتمام الحجة عليْهم قال تعالى ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥ ﴾ [النساء: ١٦٥]ففي الرواية ان الامام دَعا بِراحِلَتِهِ، فَرَكِبَها، وَتَقَدَّمَ نَحْوَ القَوْمِ، وَنادَى بِأَعْلَى صَوْتٍ، يَسْمَعُهُ جُلُّهُمْ:"أَيُّها النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، وَلا تَعْجَلُوا حَتَّى أَعِظَكُمْ بِما يَحِقُّ لَكُمْ عَلَيَّ، وَحَتَّى أُعْذَرَ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ أَعْطَيْتُمُونِي النِّصْفَ، كُنْتُمْ بِذَلِكَ أَسْعَدَ، وَإِنْ لَمْ تُعْطُونِي النِّصْفَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، فَأَجْمِعُوا رَأْيَكُمْ، ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً، ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ، وَلا تُنْظِرُونَ، إِنَّ وَلِيِّيَ اللهَ الَّذِي نَزَّلَ الكِتابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ".

ثُمَّ قالَ عليه السلام :"أَيُّها النَّاسُ: فَانْسِبُونِي، فَانْظُرُوا مَنْ أَنا؟ ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ، وَعاتِبُوها؛ فَانْظُرُوا، هَلْ يَصْلُحُ لَكُمْ قَتْلِي وَانْتِهاكُ حُرْمَتِي؟! أَلَسْتُ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ، وَابْنَ وَصِيِّهِ، وَابْنَ عَمِّهِ، وَأَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ، الْمُصَدِّقَ لِرَسُولِ اللهِ، بِما جاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ؟ أَوَلَيْسَ حَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَداءِ عَمِّي؟ أَوَلَيْسَ جَعْفَرٌ الطَّيَّارُ فِي الجَنَّةِ بِجَناحَيْنِ عَمِّي؟ أَوَلَمْ يَبْلُغْكُمْ ما قالَ رَسُولُ اللهِ لِي وَلِأَخِي: هَذانِ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ؟

فَإِنْ صَدَّقْتُمُونِي بِما أَقُولُ، وَهُوَ الحَقُّ، فَواللهِ، ما تَعَمَّدْتُ كَذِبًا، مُنْذُ عَلِمْتُ أَنَّ اللهَ يَمْقُتُ عَلَيْهِ أَهْلَهُ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، فَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ إِنْ سَأَلْتُمُوهُ عَنْ ذَلِكَ أَخْبَرَكُمْ. سَلُوا جابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الأَنْصارِيَّ، وَأَبا سَعِيدٍ الخِدْرِيَّ، وَسَهْلَ بْنَ سَعْدٍ السَّاعِدِيَّ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ، وَأَنَسَ بْنَ مالِكٍ، يُخْبِرُوكُمْ أَنَّهُمْ سَمِعُوا هَذِه المَقالَةَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِي وَلِأَخِي؛ أَما في هَذا حاجِزٌ لَكُمْ عَنْ سَفْكِ دَمِي؟!".

فَقالَ لَهُ شِمْرُ بْنُ ذِي الجَوْشَنِ: أَنا أَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ (١)، إِنْ كُنْتُ أَدْرِي ما تَقُولُ!

فَقالَ لَهُ حَبِيبُ بْنُ مُظاهِرٍ: "وَاللهِ، إِنِّي لَأَراكَ تَعْبُدُ اللهَ عَلَى سَبْعِينَ حَرْفًا! وَأَنا أَشْهَدُ أَنَّكَ صادِقٌ، ما تَدْرِي ما يَقُولُ، قَدْ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِكَ.

ثُمَّ قالَ لَهُمُ الحُسَيْنُ عليه السلام: "فَإِنْ كُنْتُمْ في شَكٍّ مِنْ هَذا! أَفَتَشُكُّونَ أَنِّي ابْنُ بِنْتِ نَبِيِّكُمْ! فَواللهِ، ما بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي، فِيكُمْ وَلا في غَيْرِكُمْ؛ وَيْحَكُمْ، أَتَطْلُبُونِي بِقَتِيلٍ مِنْكُمْ قَتَلْتُهُ! أَوْ مالٍ لَكُمُ اسْتَهْلَكْتُهُ! أَوْ بِقِصاصِ جِراحَةٍ!؟".

---

(١) أي يعبد الله ما وافقت هذه العبادة مصالحه الدنيويّة وأهواءه النفسيّة، فإنّ أصابه خيرٌ اطمأنّ به، وإن محصّ بالبلاء انقلب على وجهه فخسر الدنيا والآخرة! يقول الإمام الحسين عليه السلام مشيراً إلى أمثال هؤلاء: "النّاس عبيد الدنيا، والدّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون"!

فَأَخَذُوا لا يُكَلِّمُونَهُ؛ فَنادَى عليه السلام :"يا شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ، يا حَجَّارَ بْنَ أَبْجُرَ، يا قَيْسَ بْنَ الأَشْعَثِ، يا يَزِيدَ بْنَ الحارِثِ، أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ، أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثِّمارُ، وَاخْضَرَّ الجَنابُ، وَإِنَّما تُقْدِمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدَةٍ؟!".

فَقالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الأَشْعَثُ: ما نَدْرِي ما تَقُولُ! وَلَكِنْ، إِنْزِلْ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ، فَإِنَّهُمْ لا يُرُوكَ إِلَّا ما تُحِبُّ!.

فَقالَ لَهُ الحُسَيْنُ عليه السلام:"أَنْتَ أَخُو أَخِيكَ، أَتُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَكَ بَنُو هاشِمٍ، بِأَكْثَرَ مِنْ دَمِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ؟؛ لا، وَاللهِ، لا أُعْطِيهِمْ بِيَدِي إِعْطاءَ الذَّلِيلِ، وَلا أُقِرُّ إِقْرارَ العَبِيدِ؛ عِبادَ اللهِ، إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونَ؛ أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ، مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الحِسابِ".

ثُمَّ إِنَّهُ أَناخَ راحِلَتَهُ، وَأَمَرَ عُقْبَةَ بْنَ سِمْعانَ، فَعَقَلَها، وَأَقْبَلُوا يَزْحَفُونَ نَحْوَهُ.

وهكذا دارة الدائرة على آلـ الرسول ...فوقعت مجزرة كربلاء بقتل سبط النبي واله وصحبته عليهم السلام ...ثم عدوا لحرق الخيام وسبي النساء ...ففي الخبر ... قال أبو مخنف: لما هجم القوم على المخيم ارتفع صياح النساء فصاح ابن سعد اكبسوا عليهن الخباء، واضرموها نارا فأحرقوها ومن فيها. فقال له رجل منهم: ويلك يا ابن سعد أما كفاك قتل الحسين وأهل بيته، وأنصاره عن إحراق أطفاله ونسائه؟ فقد أردت أن يخسف الله بنا الأرض؟ فامتنع ابن سعد، ولكنه نادى عليَّ بمشعل من نار لأحرق بيوت الظالمين، فجاءوا إليه بمشعل، فأضرم النار في المخيم، ففررن بنات رسول الله وأطفاله والتجئوا إلى عمتهم زينب.

فجاءت بهم الحوراء زينب إلى الإمام زين العابدين عليه السلام وهي تقول: يا بقية الماضين، وثمال الباقين أضرموا النار في مضاربنا فما رأيك فينا؟

قال عليكن بالفرار، ففررن بنات الرسول صائحات، باكيات نادبات.

يفترن خوات احسين   من خيمه لعد خيمه
ينادن وين راحوا وين   ما ظل بالعده شيمه
او كل خيمه تشب ابنار   ردن ضربن الهيمه
والسجاد اجوا وسحبوه   اودمعه على الوجن ساله

الحراير من لهيب النار هاجن   ولعد جسمك يبو السجّاد هاجن
يگلّنك علينه الليل هاجن   وانته اموسّد الغبرة رميّه

عَجَباً لَهَا بِالأَمْسِ أَنتَ تَصُونُهَا   وَاليَوْمَ آلُ أُمَيَّةٍ تُبْدِيها

الموضوع: السنخية بين العمل والعامل وأثرهما في مسيرة الانسان

قال تعالى ﴿ قُلۡ كُلٌّ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٤].

سبب النزول (١)

من اجل فهم سبب النزول يحتاج ان نذكر المقطع الذي قبل هذا النص قال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسٗا ﴿٨٣﴾ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢-٨٤] الآية الثّانية ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٤] تخاطب الرّسول صلى الله عليه وآله .

فالمؤمنون يطلبون الرحمة والشفاء مِن آيات القرآن الكريم، والظالمون لا يستفيدون مِن القرآن سوى مزيد مِن الخسران، أمّا الأفراد الضعفاء فيصابون بالغرور في حالِ النعمة. ويصابون باليأس في حالِ ظهور المشاكل ... هؤلاء

---

(١) الشيرازي، ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق، ج٩، ص٧٠.

جميعاً يتصرفون وفق أمزجتهم، هذه الأمزجة التي تتغيّر وفق التربية والتعليم والأعمال المتكررة للإنسان نفسه.

وفي هذه الأحوال جميعاً فإنَّ هناك علم الله الشاهد والمحيط بالجميع وخاصّة بالأشخاص المهتدين: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٤].

فكأن الله سبحانه يواسي حبيبه ورسوله ﷺ من أولئك الذين لا يستفيدون من القرآن الكريم ...

معنى الشاكلة

سؤال: ما معنى الشاكلة؟

الجواب(١) :

كلّ عادة وطريقة ومذهب وأسلوب يعطي للإنسان اتجاهاً معيناً.

لذا فإنَّ العادات والصفات التي يكتسبها الإنسان بتكرار الأعمال اختيارياً وإرادياً، وكذلك الإعتقادات التي يقتنع بها ويعتمدها بسبب الإستدلال أو التعصب لرأي معين يُطلق عليها كُلّها كلمة «شاكلة».

وعادةً ما تكون الملكات الإنسانية لها صفة اختيارية، لأنَّ الإنسان عندما يُكرِّر عملا ما ففي البداية يُقالُ لهُ (حالة) ثمّ تتحوَّل الحالة إلى (عادة) والعادة إلى

---

(١) المصدر ، تفسير آية البحث .

(مَلَكَة) وهذه الملكات نفسها تعطي شكلا معيناً لأعمال الإِنسان وتحدِّد خطَّهُ في الحياة، وهي عادةً ما تظهر بفعل العوامل الإِختيارية والإِرادية.

وفي بعض الرّوايات تمَّ تفسير «الشاكلة» بأنّها النيّة، فقد ورد في أصول الكافي عن الإِمام الصّادق عليه السلام ، قوله: «النّية أفضل مِن العمل، ألا وإِنَّ النّية هي العمل، ثمّ تلا قوله عزَّ وجلّ: ﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ٨٤ ﴾ [الإسراء: ٨٤] ، يعني على نيّته» (١) .

هذا التّفسير ينطوي على ملاحظة لطيفة، وهي أنَّ الإِنسان والتي تنبع مِن اعتقاداته تغطي شكلا لعمله، وعادة فإِنَّ النيّة هي نوع مِن الشاكلة، بمعنى الأمر المقيِّد. لذا تفسَّر النيّة أحياناً بأنّها نفس العمل. وفي أحيان أُخرى بأنّها أفضل من العمل، لأَنَّهُ ـ في كل الأحوال ـ يكون خط العمل واتجاههُ ناتجاً عن خط النيّة واتجاهها.

وفي رواية «مَن لا يحضره الفقيه» عن صالح بن الحكم، قال: سُئِلَ الصّادق عليه السلام عن الصلاة في البيع والكنائس، فقال عليه السلام : «صلِّ فيها» قُلت: أصلي فيها وإِن كانوا يُصلون فيها؟ قال: «نعم. أمّا تقرأ القرآن» :﴿ قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ

---

(١) الحويزي ، عبد علي بن جمعة العروسي ، تفسير نور الثقلين ، ج٣ ، ص ٢١٤ ، نقلا عن تفسير الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل .

فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا ﴿٨٤﴾ [الإسراء: ٨٤] (صلَّ على القبلة ودعهم»(١) .

عودا على بدء الآية تتحدث عن السنخية بين العمل والعامل (الشاكلة)، وهي على نوعين (٢)

النوع الأول: شاكلة ذاتية

وهي الجينات الوراثية التي تضع بصمتها على الإنسان، وتضع أثرها على نفس الإنسان، فالإنسان الذي ينحدر من آباء جبناء - بالجينات الوراثية -يصبح جبانًا، والإنسان الذي ينحدر من أسرة شجاعة - بالجينات الوراثية - يصبح شجاعًا، وكذا الإنسان الذي ينحدر من أسرة كريمة يصبح كريمًا، والإنسان الذي ينحدر من أسرة بخيلة يصبح بخيلًا، الجينات الوراثية تؤثر أثرها على صياغة نفس الإنسان، وعلى صياغة الإنسان، ولذلك ورد عن النبي محمد صلى الله عليه واله انه قال: تخيَّروا لنُطَفِكم فإنَّ العرقَ دسَّاس(٣) . فالجينات الوراثية تبث مفعولها وأثرها، الأعراق المتشابكة والمتداخلة أعراق الأب والأم تؤثِّر أثرها على صياغة شخصية هذا الوليد من هنا يرى العلماء لأن هناك سنخيه بين العمل ونفس العامل، كما هناك سنخية بين المعلول والعلة

---

(١)المصدر.

(٢) مقتبس من احد محاضرات العلامة سماحة السيد منير الخباز ، الموقع .

(٣) المحجة البيضاء ، الفيض الكاشاني ،المولى محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني ،ج ٣ ،ص ٩٣ ، جامعة المدرسين قم ط ٢.

كما يقول الفلاسفة هناك سنخية بين المعلول وعلته، على سبيل المثال: بذرة التفاحة لا تنتج إلا تفاحة، فلا يمكن أن تنتج برتقالًا مثلًا، فهناك سنخية بين العلة وهي البذرة وبين المعلول وهي الثمرة، والنار تنتج الإحراق أي الحرارة الحارقة ولا تنتج شيئًا آخر، كل علة تنتج أثرًا يساخنها، أثرًا يُشابهها، وكذلك بين العمل والإنسان، فعملكَ يُشابهك، فمن المستحيل أن يخرج منك عمل لا يُشابهك، عملك يسانخ هيكلك النفسي، هناك سنخية بين عمل الإنسان وطبيعته، هناك سنخية بين أفعال الإنسان وبين جهازه الداخلي وهذا هو معنى الشاكلة الذاتية .

فلو وقف شخصان أحدهما شجاع والآخر جبان أمام موقف مثير، فترى الشجاع يتحرَّك بكل جرأة أمام ذلك الموقف المثير، بينما الجبان يتراجع وينكمش، فعمل كل واحد منهما جاء مسانخًا لطبيعته، جاء مسانخًا لجهازه الداخلي الذي اكتسبه من الجينات الوراثية. وإذا عُرِضَ على الناس مبادرة بذل أو عطاء أمام شخصين أحدهما بخيل والآخر كريم، تجد الكريم يبادر لهذه المبادرة في حين أن البخيل يتراجع وينكمش، أو إذا تعرَّض شخصان لإساءة فتجد سريع الغضب ينفعل مع هذه الإساءة ولكن الحليم لا تهمه الإساءة، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ الفرقان [٧٢] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ الفرقان [٦٣]. إذن لكل إنسان شاكلة ذاتية، أي طبع

اكتسبه بالوراثة، وهذا الطبع يزرع بصمته ويزرع أثره على عمل الإنسان وسلوكه

النوع الثاني: شاكلة اكتسابية

والمقصود بها" المَلَكة "عند علماء العرفان؛ أي أن الإنسان يكتسب ملكة من خلال عمله، مثال ذلك عندما يدرِّب شخص نفسه على فن التمثيل يصبح فنَّانًا في التمثيل، وعندما يدرِّب نفسه على الخطابة يصبح صاحب ملكة في الخطابة، إذن من الممكن للإنسان أن يكتسب شاكلة جديدة من خلال عمله وتسمى هذه الشاكلة" المَلَكة الاكتسابية "كما أن الإنسان يكتسب ملكة التمثيل أو الخطابة من خلال عمله كذلك «الصلاح» و«الفساد» ملكتان يمكن أن يكتسبهما الإنسان

فالصلاح يمكن أن يتحول إلى ملكة وتصبح شاكلة لك إذا ربَّيت نفسك على الأعمال الصالحة، والإنسان الذي يدرِّب نفسه دائمًا على العمل الصالح سيأتي عليه يوم يصبح فيه الصلاح شاكلة وملكة له، وإذا اكتسب الإنسان ملكة الصلاح، فإن للصلاح آثارًا.

اثار الصلاح او الشاكلة الحسنة

الأثر الأول: أنه يرفع الأعمال الصالحة ويمحو الأعمال السيئة

قال تبارك وتعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. والعمل الصالح من دوره يرفع الكلام الطيب،

يرفع إلى الله لينال ثوابه. وقال الله تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤ ﴾ [هود: ١١٤]، إذن العمل الصالح يمحو السيئات ويرفع الأعمال الصالحة والكلام الطيب إلى الله تبارك وتعالى

الأثر الثاني: الإفاضة

بمعنى أن الإنسان الصالح يسري صلاحه إلى غيره، قال تعالى ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتًا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورًا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٍ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٢ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، الإنسان الصالح يمشي صلاحه في الناس شاء أم أبى، الإنسان المؤمن له حضوره بين الناس تراهم ينجذبون إليه، ينجذبون إلى صلاحه، ينجذبون إلى إيمانه، ينجذبون إلى أدبه، إذن نور إيمانه لا يتقوقع في نفسه بل يمتد إلى الآخرين فيسري فيهم، ويؤثر بهم

الأثر الثالث: الصلاح يصبح ملكة

ما زال الإنسان يعمل صالحًا حتى يصبح الصلاح ملكة جزءً من ذاته، بل جزءً لا يتجزَّأ من ذاته، ويتحوَّل إلى شاكلة بحيث لا تصدر منه إلا الأعمال الصالحة، وتتحوَّل نفسه إلى نفسٍ نورانية

يقول الفلاسفة الحركة ثلاثة أقسام، هناك حركة مكانية كأنْ يتحرك أحدهم من داخل المسجد إلى الخارج، أما الحركة الكيفية كمثل الماء الذي يغلي فقد

تحوَّل من كيفيته السائلة إلى كيفية أخرى وهي البخار، أما الحركة الجوهرية معناها أن النفس تتحوَّل من حقيقة إلى حقيقة، من ماهية إلى ماهية، ومن ملكة إلى ملكة﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ۝١٣ وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ۝١٤ ﴾ [نـوح: ١٣-١٤] النفس تتحرَّك من ملكة إلى أخرى، ومن طورٍ إلى آخر، ومن شاكلة إلى شاكلة، فإذا الإنسان درَّب نفسه على الأعمال الصالحة فإنه يعيش حركة جوهريَّة؛ أي أن نفسه تتحرك لتصبح ذا ملكة راسخة لا تزول ألا وهي ملكة الصلاح، تتحول النفس من ظلمة إلى قطعة من النور، وإذا تحوَّلت النفس إلى نور أضاءت للآخرين بأنوارها

وهذا الأمر ينطبق على الفساد، فالعمل السيئ له آثار كما للعمل الصالح آثار.

آثار العمل او الشاكلة السيئة

الأثر الأول: العمل السيئ يحبط الحسنات

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ ﴾ [محمد: ٩]، قال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢ ﴾ [الحجرات:٢]، العمل السيئ يحبط الأعمال الصالحة، يُزيلها، يبخِّرها، فما أكثر الجهد الذي يبذله الإنسان في الصلاة الواجبة والنافلة، والصوم، والدعاء، وغيرها فإذا بعمل سيئ واحد يحرق هذه الأعمال الصالحة كلها، بإساءة لوالديه، بإساءة لزوجته، بإساءة المرأة لزوجها، بعملٍ سيئ يحرق هذه

الصالحات كلها، قال تعالى ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان [٢٣].

الأثر الثاني: العمل السيئ يوجب اسوداد النفس

النفس تصبح قطعةً سوداء، قطعة مفحمة، نتيجة للإصرار على العمل السيئ، لذلك الإنسان يُصاب بمرض قسوة القلب إذا أصرَّ على الأعمال السيئة، ومن يقسى قلبه لا يبالي بذنوبه، ورد على النبي محمد ﷺ إن المؤمن إذا أذنب، كان ذنبه كجبل أبي قبيس على صدره، وإنَّ المنافق إذا أذنب، كان ذنبه كذبابة مرَّت على أنفه فأطارها" يشعر المؤمن أن الذنب ثقيل، يريد أن يتخلَّص من تبعاته وآثاره، وإذا أصيب الإنسان بمرض قسوة القلب نتيجة كثرة الذنوب لا يبالي بالذنوب قال تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[البقرة: ٧٤] .

الأثر الثالث: أن يصبح السوء ملكة

يصرَّ على السوء إلى أن يصبح السوء شاكلة له، ملكة له راسخة لا تزول، فلا يصدر منه إلا الأعمال السيئة، قال تعالى ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤] و"ران" من "الرين" أي الصبغ؛ بمعنى اصطبغتْ نفوسهم بذنوبهم ، قال تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

[المطففين: ١٥] ثم ينقطع عنهم المدد، وتنقطع عنهم الرحمة الإلهية؛ لأنه ذنوبهم حجبتهم عن استمطار الرحمة

إذن الصلاح يصبح شاكلة، فلا يعمل الإنسان إلا أعمالًا صالحة، والفساد أيضًا يصبح شاكلة، فلا يعمل الإنسان إلا أعمالًا سيئة﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ۝٨٤ ﴾ [الإسراء: ٨٤] ، وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات والنور، ولا الظل والحرور، وما يستوي الأحياء والأموات، كلٌ له شاكلة اكتسبها، من خلال إصراره على عمله، فكلٌ من هؤلاء يعمل على شاكلته

الآية وعقيدة الجبر

سؤال: هل في الآية دلالة على عقيدة الجبر؟

الجواب (١) :فإِنَّ مفهوم الشاكلة لا يختص بالطبيعة الإِنسانية، لذلك ذكر العلاّمة الطبرسي في مجمع البيان لهذه الكلمة مَعَنيين، هما: الطبيعة والخلقة، ثمّ الطريقة والمذهب والسُنَّة، على اعتبار أنَّ كل واحدة مِن هذه الأُمور تحدِّد الإِنسان مِن حيث العمل.

ومِن هنا يتّضح خطأ أُولئك الذين اعتبروا الآية أعلاه دليلا على إِلزامية الصفات الذاتية للإِنسان بشكل يخرج عن إِرادته، وهو دليلهم على عقيدة الجبر، وإِذ أنكروا قيمة التربية والتزكية.

---

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،مصدر سابق ، ج٩ ، ص ٧٢ .

هذا النوع مِن التفكير الذي يخضع في أسبابه إِلى عوامل سياسية واجتماعية ونفسية ـ والتي ذكرناها في بحوثنا عن الجبر والإِختيار ـ لهُ هيمنة على ثقافة وأدب الكثير مِن المجتمعات والنظُم، حيث تستخدم هذه الثقافة لتبرير النواقص. إِنَّ هذه الثقافة تعتبر مِن أخطر الإِعتقادات التي يمكن أن تجر المجتمع سنين بل قرون إِلى الذلة والتأَخَّر.

بناءً على ما ذكرنا نعتقد أن عقيدة الجبر هي دوماً ذريعة للتسلط الاستعماري، لكي تبقى القوّة المسيطرة في ظل ثقافة الجبر بمنأى عن ردود الفعل المقاومة للسيطرة والتي يمكن أن تنطلق مِن صفوف المسحوقين المستضعفين.

والتعبير المشهور هُنا، يوضح هذه الحقيقة بشكل دقيق، إِذ يقول: «الجبر والتشبيه أمويان والعدل والتوحيد علويان».

نماذج للمسانخة والشاكلة

فمثلا النبي يوسف عليه السلام صفة العفو والإحسان متجلية في خليقته وخلقته لذا يذكره المولى سبحانه بانه من المحسنين في موردين مختلفين:

الأول: حال فقدان السلطة والجاه بل حال السجن والقهر والعبودية المادية وهذا ما حكاه الله سبحانه ابان سجنه عليه السلام حيث يتوسم به السجناء وأصحاب المشاكل الاحسان قال تعالى ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦ ﴾ [يوسف: ٣٦].

الثاني: حال مملكته وسلطانه عليه السلام وذلك عندما طلب اخوته تخلية سبيل اخوهم بنيامين قال تعالى ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ ﴾ [يوسف: ٧٨].

قصة لطيفة لبيان سجية الطبع تحت عنوان (قصة العجوز الحكيم والعقرب)

جلس عجوز حكيم على ضفة نهر وراح يتأمل في الجمال المحيط به ويتمتم بكلمات فلمح عقربا وقد وقع في الماء وأخذ يتخبط محاولا أن ينقذ نفسه من الغرق فقرر العجوز أن ينقذه فمد له يده فلسعه العقرب سحب الرجل يده صارخا من شدة الألم ولكن لم تمضي سوى دقيقة واحدة حتى مد يده الثانية لينقذه فلسعه العقرب مرة أخرى سحب يده صارخا من الألم ثانية وبعد دقيقه راح يحاول إنقاذه للمرة الثالثة وكان على مقربة من النهر رجل آخر يراقب في العجوز فصرخ الرجل على العجوز قائلا لما لم تتعظ من المرة الأولى ولا المرة الثانية وها أنت تحاول إنقاذه للمرة الثالثة.!! لم يأبه العجوز الحكيم لتوبيخ هذا الرجل، وظل يحاول حتى نجح في إنقاذ العقرب.

ثم مشى العجوز باتجاه الرجل وقال له: يا بني من طبع العقرب أن يلسع ومن طبعي أنا أحب وأعطف وأساعد. فلماذا تريدني أن أسمح لطبع العقرب أن يتغلب على طبعي فعامل الناس بطباعك لا بأطباعهم مهما كانوا ومهما تعددت تصرفاتهم التي تجرحك وتؤلمك في بعض الأحيان.

من طبائع الامام الحسين عليه السلام الرقة

بعدها ركب الامام الحسين عليه السلام جواده فأحطن النساء به كالحلقة هذه تقبل يده وهذه تقبل رجله فجعل يودعهن وهو يقول : الله خليفتي عليكن ثم توجه الى الميدان سار قليلا وإذا بالنداء من خلفه : أخي حسين قف لي هُنيئة، فالتفت الى ورائه وإذا هي اُخته السيدة زينب عليها السلام، عاد اليها الحسين عليه السلام وقال : أُخيه ما تريدين؟ قالت : أخي انزل من على ظهر جوادك، فنزل الحسين، دنت منه وقالت : أخي اكشف لي عن نحرك وصدرك، كشف الحسين عليه السلام لها عن نحره وصدره، فقبلته في صدره وشمته في نحره ثم حولت وجهها الى جهة المدينة وصاحت : أُماه يا زهراء لقد استُرجعت الوديعة وأُديت الامانة فقال الامام الحسين عليه السلام : أُخيه أيةُ وديعة وأمانة قالت : أخي اعلم انه لما دنت الوفاة من اُمنا الزهراء دعتني اليها فقبلتني في صدري وشمتني في نحري ثم قالت لي : بُنية زينب هذه وديعتي عندك إذا رأيت اخيك الحسين بأرض كربلاء وحيدا فريدا فشميه في نحره فانه موضع السيوف وقبليه في صدره فانه موضع حوافر الخيول فلما سمع بذكر أُمه الزهراء عليها السلام هاج به الحنين إليها

يخويه وصّتني أُمّك الزچيّه لو شفتي الغالي عليّه
مفرد بگه بين آل أميّه شمّيه من صدره الشفيه
وبمنحره حبيّه ليّه واسّاحضر وگت الوصية

انحنت فوگـه تشـم نحره وصـــدره

وتـنـدب صـــارخـه والـعـين عـبره

هـذي نـيـابـتـي عـنـچ يـزهـره وســفـه ايروح والينـه للـگبور

أفاطم لـــو خلت الحسـين مجدلا وقـد مـات عطشـــانـا بشـط فرات

إذا لـلطمـت الخـد فـاطـم عـنـده وأجريت دمع العين في الـــوجنات

أفـاطـم قـومي يـا ابنـة الخير وانـدبي نـجـوم ســماوات بـأرض فـلات

الموضوع: الصاحب والخليل المضل

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩] (١).

سبب النّزول

أولا: ارتداد عقبة بن أبي معيط بسبب خليله أُبي بن خلف «قال ابن عباس: نزل قوله تعالى: (ويوم يَعض الظالم) في عقبة بن أبي معيط، وأُبي بن خلف، وكانا متخالّين، وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلاّ صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه، وكان يكثر مجالسة الرّسول، فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً ودعا الناس، فدعا رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى طعامه، فلما قربوا الطعام قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله، فقال عقبة: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وبلغ ذلك أُبي بن خلف فقال: صبئتَ يا عقبة؟ قال: لا والله ما صبأتُ، ولكن دخل عليَّ رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلاّ أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم،

---

(١) ينظر تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل :العلامة ناصر مكارم الشيرازي :الآية« ٢٧ » من سورة الفرقان.

فشهدتُ له فطعم، فقال أُبي: ما كنتُ براض عنك أبداً حتى تأتي فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبة وارتدَّ، وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه، فقال النبيﷺ: لا ألقاك خارجاً من مكّة إلاّ علوتُ رأسك بالسيف، فضرب عنقه يوم بدر صبراً، وأمّا أُبي بن خلف فقتله النبيﷺ يوم أُحد بيده في المبارزة».

وقال الضحاك: لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه، فأحرق خديه، وكان أثر ذلك فيه حتى مات.

ثانيا: وقيل نزلت في كل كافر أو ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة أمر الله تعالى.

وهدف الآيات أعلاه لترسم صورة مصير الرجل الذي يُبتلى بخليل ضال، ويجره إلى الضلال.

سبب النزول خاص ام عام

سؤال: لو كان سبب النزول خاصّاً هل يفيد العموم؟

الجواب: نعم وإن يكن خاصّاً، إلاّ أنّه لا يقيد مفهوم الآيات أبداً، وعمومية المفهوم تشمل جميع المصاديق.

الوقوف من النص الشريف.

يوم القيامة له مشاهد عجيبة ومنها:

١. الفرار من الاقرباء: قال تعالى ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

٢. الذهول والحيرة: قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ١-٢].

٣. حـــــشر الولدان شيبا: قال تعالى ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ [المزمل: ١٧].

٤. ومنها الندم والحسرة وهي اية البحث: قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧].

هذا التعبير عادة بالنسبة إلى الأشخاص المهووسين من شدّة الحسرة والأسف، كما في المثل العربي، لأن الإنسان في مثل هذه الحالات لا يعض الإصبع دائماً، بل يعض ظاهر اليد أحياناً، وكثيراً ما يقال ـ كما في الآية مورد البحث ـ «يديه» يعني كلتا اليدين حيث تبيّن شدّة الأسف والحسرة بنحو أبلغ.

وهذا العمل يصدر من هؤلاء الأشخاص حينما يطلعون على ماضيهم، ويعتبرون أنفسهم مقصرين، فيصممون على الإِنتقام من أنفسهم بهذا الشكل لتهدئة سورة الغضب في نفوسهم والشعور بالراحة.

وينبغي حقّاً، أن يسمى ذلك اليوم (يوم الحسرة) كما ورد هذا الوصف بالذات في القرآن ليوم القيامة قال تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم: ٣٩] ، ذلك لأن المجرمين يرون أنفسهم في أتعس حال بين يدي الحياة الخالدة، في الوقت الذي كانوا يستطيعون خلال أيام من الصبر والإستقامة ومجاهدة النفس والإيثار أن يستبدلوا ذلك بحياة مشرفة وسعيدة قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧-٤١] وهو يوم أسف أيضاً حتى بالنسبة إلى المحسنين، فهم يأسفون على أنّهم: لماذا لم يحسنوا أكثر.

ولذا ورد في الأثر ...يوم يتحسر المسئ هلا أحسن العمل؟ والمحسن هلا ازداد من العمل؟ وهو يوم القيامة(١).

ثمّ يضيف القرآن الكريم أنّ هذا الظالم المعتدي الغارق في عالم الأسف، يقول:﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٨].

واضح أن المقصود بـ «فلان» هو ذلك الذي أضله: الشيطان أو صديق السوء أو القريب الضال، وفردٌ مثل «أُبي» لـ «عقبة» الذي ورد في سبب النّزول.

ثمّ يستمر ويقول: ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ﴾ [الفرقان: ٢٩].

(١) بحار الأنوار ، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٨ ،ص ٣٤٤.

لو كانت الفاصلة كبيرة بيني وبين الإيمان والسعادة الخالدة في الدنيا لم اكن آسف الى هذا الحد، ولكني كنت قاب قوسين أو أدنى من السعادة الدائمة فصدّني رفيق السوء هذا عن عين ماء الحياة ظامئاً وأغرقني في دوامة التعاسة قال تعالى ﴿ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزمر: ٧٢].

معنى الذكر

«الذكر» في الجملة أعلاه، له معنىً واسع، ويشمل كل الآيات الإلهية التي نزلت في الكتب السماوية، بل يدخل في إطاره كلُّ ما يوجب يقظة ووعي الإنسان. وفي ختام الآية يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٩] ذلك لأنّه يجر الإنسان إلى مواقع الخطر والطرق المنحرفة، ثمّ يتركه حيران ويذهب لسبيله...(١).

موقف شياطين الانس والجن من اتباعهم يوم القيامة

الله سبحانه يذكرنا ويحذرنا من شياطين الجن والانس لان وعودهم كاذبة ويوم القيامة يتبرؤن من اتباعهم

(١) سؤال: في هذه الجملة ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٩] هل هي مقولة الله تعالى على سبيل الإنذار لجميع الظالمين والضالين، أو تتمة لمقولة هؤلاء الأفراد المتحسرين في القيامة؟ الجواب: ذكر المفسّرون تفسيرين، وكل منهما منسجم مع معنى الآية، غير أن كونها مقولة الله تعالى أكثر انسجاماً.

قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

قال تعالى ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغۡوَيۡنَآ أَغۡوَيۡنَٰهُمۡ كَمَا غَوَيۡنَاۖ تَبَرَّأۡنَآ إِلَيۡكَۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ ٦٣ ﴾ [القصص: ٦٣].

سلطة الشيطان بين الوهم والحقيقة

سؤال: هل للشيطان سلطان على الانسان؟

الجواب: قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ٤٢ ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٢] (١).

حبائل الشيطان

ومن اللطائف الذي تذكر في هذا المقام نذكر قصة الشيخ الانصاري قدست نفسه ولكن بعد التعرف على مصائد وفخوخ ابليس ففي الرواية في عن الامام

(١) المخلص لا يقربه الشيطان لماذا؟ الجواب: قيل لان الشيطان لا يعرف بماذا يفكر المخلص لكي يوسوس له.

الرضا عليه السلام (١) ، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام إن إبليس كان يأتي الانبياء من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله المسيح عليه السلام يتحدث عندهم ويسائلهم، ولم يكن بأحد منهم أشد أنسا منه بيحيى بن زكريا عليه السلام ، فقال له يحيى: يا أبا مرة إن لي إليك حاجة، فقال له: أنت أعظم قدرا من أن أردك بمسألة فسلني ما شئت، فإني غير مخالفك في أمر تريده، فقال يحيى: يا أبا مرة أحب أن تعرض علي مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حبا وكرامة، وواعده لغد، فلما أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الموعد وأغلق عليه الباب إغلاقا فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولا، وإذا أسنانه وفمه مشقوق طولا عظما واحدا بلا ذقن ولا لحية، وله أربعة أيد: يدان في صدره ويدان في منكبه، وإذا عراقيبه قوادمه، و أصابعه خلفه، وعليه قباء وقد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين أحمر وأصفر و أخضر وجميع الالوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاب، (٢) فلما تأمله يحيى عليه السلام قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك ؟ فقال: هذه المجوسية، أنا الذي سننتها وزينتها لهم، فقال له: فما هذه الخيوط الالوان ؟ قال له: هذه جميع أصباغ

---

(١) بحار الأنوار ، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ١٤ ، ص ١٧٢.

(٢) الكلاب بالفتح وتشديد اللام: حديدة معطوفة يعلق بها اللحم وغيره.

النساء، لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتى تقع مع لونها، فأفتتن الناس بها، فقال له: فما هذا الجرس الذي بيدك ؟ قال: هذا مجمع كل لذة من طنبور و بربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، (١) وإن القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه استخفهم (٢) الطرب، فمن بين من يرقص ومن بين من يفرقع أصابعه، ومن بين من يشق ثيابه، فقال له: وأي الاشياء أقر لعينك ؟ قال النساء هن فخوخي ومصائدي، فإني إذا اجتمعت علي دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن، فقال له يحيى عليه السلام : فما هذه البيضة التي على رأسك ؟ قال: بها أتوقى دعوة المؤمنين، قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها ؟ قال: بهذه أقلب قلوب الصالحين. قال يحيى عليه السلام: فهل ظفرت بي ساعة قط ؟ قال: لا، ولكن فيك خصلة تعجبني قال يحيى: فما هي ؟ قال: أنت رجل أكول، فإذا أفطرت أكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل، قال يحيى عليه السلام : فإني أعطي الله عهدا ألا أشبع من الطعام حتى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهدا أني لا أنصح مسلما حتى ألقاه ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك.

الشيخ الانصاري قدس سره وحبائل الشيطان

نرجع الى قصة الشيخ الانصاري قدست سره يقول أحد تلامذة الشيخ الأنصاري رحمه الله: عندما كنت في النجف الأشرف أدرس عند الشيخ

---

(١) الناي: آلة من آلات الطرب ينفخ فيها، والكلمة من الدخيل وكذا الصرناي.

(٢) اي اطربهم.

الأنصاري، رأيت الشيطان ذات ليلة فيما يرى النائم يحمل حبالاً عديدة. سألته: ماذا تفعل بهذه الحبال؟ سألته: ماذا تفعل بهذه الحبال؟ قال: ألقيها في أعناق الناس، وأجرهم إليَّ فأصطادهم، وأمس ألقيت أحد هذه الحبال في عنق الشيخ مرتضى الأنصاري وسحبته من غرفته إلى أواسط الزقاق الذي يقع منزله فيه، ولكن للأسف أفلت مني رغم الجهد الكبير الذي بذلته.

وعندما استيقظت من النوم بدأت أفكر في تعبير رؤياي، فقلت الأفضل أن أسأل الشيخ نفسه، لذلك تشرفت بزيارته وحدثته بما رأيت، فقال: صدق الشيطان، إن الملعون أراد أمس أن يخدعني، ففررت من شراكه بلطف الله تعالى.

أمس لم يكن لدي شيء من المال، واحتجنا في البيت إلى بعض اللوازم، فقلت في نفسي: لديَّ ريال من سهم الإمام عليه السلام ولم يأت وقت صرفه بعد، فيمكنني أن أقترضه ثم أسدد القرض فيما بعد.

أخذت الريال وخرجت من المنزل، وبمجرد أن أردت شراء ما احتجناه قلت في نفسي: من يضمن أني أستطيع أداء هذا الدَّين فيما بعد؟ وبقيت أفكر في ذلك حتى قررت نهائياً أن أرجع إلى المنزل، فلم أشتر شيئاً، وأرجعت المال إلى مكانه(١).

---

(١) قصص وخواطر، عبد العظيم المهتدي البحراني، رقم القصة ٣٣٢.

بحث حول الصديق والصداقة وأثرها في مصير الإنسان

لا شك في أن عوامل بناء شخصية الإِنسان ـ بعد عزمه وإرادته وتصميمه ـ أُمور مختلفة، من أهمها الجليس والصديق والمعاشر، ذلك لأنّ الإِنسان قابل للتأثر شاء أم أبى، فيأخذ قسطاً مهماً من أفكاره وصفاته الأخلاقية عن طريق أصدقائه، ولقد ثبتت هذه الحقيقة من الناحية العلمية وعن طريق التجربة والمشاهدات الحسية أيضاً، وقد جاء في الحديث: صحبة الأشرار تكسب الشر كالريح: إذا مرت بالنتن حملت نتناً (١) .

والشاعر يقول:

صـــاحـب أخـا ثقـة تحظى بصـــحبتـه
فـالطبع مكتســـبٌ من كـلّ مصـــحوب
كـــالـريـحِ آخـذةٌ ممـا تمـرّ بـهِ
نـتـنـاً مـن الـنـتـن أو طـيـبـاً مـن الـطـيـب

نعم ...قابلية التأثر هذه نالت اهتماماً خاصّاً لدى الإسلام ولهذا النصوص الروائية متوافرة لبيان أهمية اختيار الصاحب والصديق او الخليل ومنها:

- عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة له: «ومن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه، فانظروا إلى خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله

(١) غرر الحكم و درر الكلم ، عبدالواحد بن محمد تميمى آمدى،رقم: ٩٨٢٦ .

فهو على دين الله، وإن كانوا على غير دين الله، فلا حظّ له من دين الله»(١) .

- عن الإمام محمد التقي الجواد عليه السلام «اِيّاك ومصاحبة الشرير، فإنه كالسيف المسلول، يحسن منظره ويقبح أثره»(٢) .
- عن نبيّ الله سليمان عليه السلام أنّه قال: «لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب، فإنّما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه، وينسب إلى أصحابه وأخدانه» (٣) .

حقّاً، إنّ أثر الصديق في سعادة وشقاوة إنسان ما قد يكون من أهم العوامل أحياناً، فقد يؤدي به إلى دركات الشقاء الأبدي، وقد يرقى به أحياناً إلى غاية المجد.

<u>نتائج</u>

١. الآيات الحالية وسبب نزولها، تبيّن ـ بوضوح ـ كيف أنّ الإنسان قد يقترب من السعادة، لكنّ وسوسة شيطانية واحدة من صديق سيء تقلبه رأساً على عقب وتقلب مصيره، حيث سيعضُّ على يديه من الحسرة يوم القيامة، وستتعالى منه صرخة «ياويلتى».

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي، ج ٧٤، ص ١٩٧ .

(٢) المصدر ، ج ٧٤ ص ١٩٨.

(٣) سفينة البحار ، القمي، الشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمي، ج ٢، ص ٢٧ مادة (صدق).

٢. الروايات تبيّن أن الإسلام شديد ودقيق وثاقب النظرة في مسألة اختيار الصديق.

المصيبة

اذن هناك صحبة تقود الى جهنم وأخرى تؤدي الى الجنة وسعادة الدنيا والاخرة قال تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] وفي الرواية وهي تمتدح المتحابين في الله عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: إن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كل شئ حتى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله (١) .

وافضل صحبة وخله مع النبي واله عليه السلام و عليهم السلام قال تعالى ﴿ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧] لان هذه الصحبة تقود الإنسانية بل عالم الإمكان الى الصراط المستقيم وهو اقصر الطرق لنيل سعادة الدنيا والاخرة ومن نماذج هذه الصحبة الإلهية عائلة وهب النصراني مع ابي عبدالله الحسين عليه السلام يوم كربلاء ولنستمع للتاريخ وهو يحدثنا عن هذه الصحبة حينما كان الإمام الحسين عليه السلام قادما للعراق مع أهل بيته وأصحابه الكرام ، وصل إلى منطقة خالية من آبار الماء وهذه المنطقة بعد بركة : "أبو مسك " بمسافة ٧ كم ، وهذه البركة بعد آبار : "شراف" بمسافة ١٦ كم .كان في هذه المنطقة

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٧ ، ص ١٩٥ .

خيمة وهب بن عبد الله بن الكلبي النصراني[أ] وكان حديث عهد بالزواج وكان يخرج صباحا ليعود في المساء محملا بالماء لعائلته .حينما وصل الركب الحسني إلى هذه المنطقة توجه الإمام الحسين روحي فداه إلى تلك الخيمة ونادى يا أمة الله .خرجت من تلك الخيمة امرأة عجوز تسمى (ام وهب) فرحبت بهم...

قال لها الإمام أين ولدك وهب فردت عليه خرج كعادته ويعود في المساء محملا بالماء، فقال لها الإمام حينما يعود قولي له عليك بتصديق الرؤيا، وبمجرد أن ترك الإمام مكانه الذي كان يقف فيه وإذا بعين ماء قد انفلقت من تحت قدميه.تركها الإمام وتوجه بمن كان معه نحو كرب وبلاء. حينما عاد وهب إلى أهله وشاهد العين سأل أمه عن الخبر فقالت له ولدي كأنما المسيح عيسى قد زارنا هذا اليوم. فقد سأل عنك وقال عليك بتصديق الرؤيا.

عند ذلك بكى وهب وقال يا أماه لقد رأيت في المنام هذه الليلة روح الله عيسى وكان بجانبه رجال عليهم الهيبة والوقار وكأنهم الشمس بجمالها وهيبتها. فقال لي المسيح يا وهب هل أنت من أمتي قلت نعم فقال اعلم إن الذي يقف بجنبي هو محمد رسول الله وخاتم الأنبياء وأشرف الخلق وهذا الثاني هو علي بن أبي طالب وصيه وخليفته وزوج أبنته وهذا الثالث هو ريحانة رسول الله إنه الحسين بن علي. يا وهب عليك أن تنصر الحسين غدا في كربلاء واعلم بأنك معه في الجنة وأن اسمك مع الأبرار وقد ناولني صحفية قد كتب بها اسمي ثم أفقت

من النوم. الآن وأنت تخبرينني بما حدث، يا أماه الذي مر بك اليوم هو الحسين بن علي بن أبي طالب.

ومن الجدير بالقول ان هذه العين بقيت بقيت لغاية يومنا هذا ولها كرامات كثيرة وتسمى "عين القطارة"ذهب وهب الى الامام الحسين عليه السلام ثم عاد مسرعا ووجهه متهللا مستبشرا وأخبر امه بانه أسلم على يدالامام الحسين عليه السلام وقرر الالتحاق به والقتل بين يديه عليه السلام فتعلقت به عروسه ان لا ترملني وانا لا اب ولا اخ لي وعروستكم منذ عشرين يوما فقط فنهرته امه وابت الا ان يلتحق بالإمام الحسين ويقاتل حتى يُقتل بين يدي الحسين عليه السلام فخرج بهما ليلاً حتى اتى الحسين عليه السلام بكربلاء فأقام معه، حتى صار يوم عاشوراء، قالت ام وهب لابنها: قم يابني فانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

فقال: أفعل يا أماه ولا أقصّر.

فبرز إلى المعركة مرتجزاً فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة، فرجع إلى امّه وامرأته، فوقف عليهما فقال: يا أماه أرضيت؟

فقالت أم وهب: ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين.

فقالت له امرأته: باللهّ، لا تفجعني في نفسك.

فقالت أمّه: يابني لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول اللهّ، فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي اللهّ.

فرجع ولم يزل يقاتل حتى قَتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، ثم قطعت يداه.

بينما هو ينتظر الشهادة وإذا بزوجته تنادي من خلفه يا وهب، قاتل دون الطيّبين، فداك أبي وأمّي. نظر وهب وإذا بزوجته تركض خلفه، عاد إليها وهو يقول: أمة الله قبل قليل كنت تمنعينني عن القتال وأراك الآن تحثّينني، ما الذي جرى؟ قالت: يا وهب، لا تلمني إنّ واعية الحسين كسرت قلبي، فقال لها: ماذا سمعتِه يقول؟ قالت: رأيته بباب الخيمة واقفاً ينادي: هل من ناصر ينصرنا لوجه الله؟ هل من معين يعيننا؟

الله يعينك مالك معين وكومك على الغبرى مطاعين

كضوا حك العليهم دون الخيام

ولاخلوا خوات حسين تنضام

لما طاحوا تفايض الهام

تهاووا مثل مهوا النجم من خر

آه ...

احبتي ليتني صحبتكم فافوز فوزا عظيما

الموضوع: سوء العاقبة، أسبابها ، علاجها/١

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩] .

وقفة مقتضبة مع النص

هذه الآية من القوانين العامة والتي تربط العاقبة الحسنة بالتقوى في الدنيا والاخرة وهذا ما بينته النصوص

أولا: النصوص القرآنية

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ [القلم:٣٤]
- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣]

ثانيا: الأحاديث ومنها:

- وقال الإمام علي عليه السلام : إن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم.

سؤال: ما هي التقوى؟ **الجواب:** حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك بعض المباحات ففي الرواية: الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات (١) .

---

(١) بحار الأنوار ، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ١٠٤ ، ص ١٠٩.

مفهوم حسن وسوء العاقبة

يفهم من جملة من الروايات أن الإنسان قد يكون مؤمنًا ثابتًا على إيمانه، وقد يكون كافرًا ثابتًا على كفره، وقد يتقلّب بين الكفر والإيمان...

وإليك بعضًا من تلك الأحاديث لبيان هذا المفهوم:

- وعنه صلى الله عليه وآله : إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة (١) .

أسباب سوء العاقبة

أولا: خبث الباطن والسريرة (النية القلبية)

أن حسن أو سوء العاقبة ليس أمرًا عارضًا يطرأ على الإنسان صدفة عند خاتمة حياته بحيث يحصل بدون مقدماته أو أسبابه ...، وإنما هو أمر مكتسب مسبّب عن واقع حال نفس الإنسان، أعني صورته الباطنية...، والتي تتشكل من مجمل معتقدات الإنسان وأخلاقه وسلوكه في مجمل حياته، وعاقبة الإنسان تتناسب تمامًا مع صورته الباطنية تلك.

... عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث الهمداني، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي ما من عبد إلا وله جواني وبراني يعني سريرة وعلانية، فمن أصلح جوانيه أصلح الله عز وجل برانيه، ومن أفسد جوانيه

---

(١)كنز العمال، حسام الدين الهندي ، رقم ٥٤٥.

أفسد الله برانيه، وما من أحد إلا له صيت في أهل السماء، وصيت في أهل الارض، فإذا حسن صيته في أهل السماء وضع ذلك له في أهل الارض، فإذا ساء صيته في أهل السماء وضع ذلك له في الارض قال: فسئل عليه السلام عن صيته ما هو؟ قال: ذكره (١).

العمل الخارجي جزء من المنظومة المؤثرة

سؤال : هل لسلوك الانسان الخارجي تأثر في حسن وسوء العاقبة ؟

الجواب :

نعم له تأثير، إلا أنه ليس هو الأشد تأثيرًا، خصوصًا إذا كانت قيمة العمل تابعة لشخصية العامل ونيته وقصده، إذ رُبّ عمل صالح بحسب الظاهر إلا أنه فاقد لشروط القبول والقربى... حيث ورد عن امير المؤمنين عليه السلام: سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك(٢) .

وبالتالي فالعمل وحده ليس هو الكاشف عن حقيقة المرء، وإنما العمدة على ما يحمله في نفسه وقلبه، ويُستشف هذا المعنى مما ورد في بعض النصوص ومنها: عن الإمام الباقر عليه السلام : إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرًا فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك، وإن كان

(١)بحار الأنوار ، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٦٨ ،ص ٣٦٥.

(٢)نهج البلاغة،الحكمة ٤٦.

يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب (١).

لعل نية الأمير تغيرت

ينقل في التأريخ ان احد الامراء خرج ذات يوم للصيد فأدركه العطش فرأى في البرية بستاناً وعنده صبي فطلب منه ماءً فقال له : ليس عندنا ماء قال : إدفع لي رمانة فدفعها له فاستحسنها فنوى أخذ البستان ثم قال له : أدفع لي رمانة أخرى فدفعها له فوجدها حامضة فقال له : أليست هذه الرمانة من نفس الشجرة التي قدمت لي الرمانة الأولى منها ؟ قال : نعم قال له : كيف تغير طعمها ؟ فقال له: لعل نية الأمير تغيرت فرجع عن ذلك في نفسه ثم قال له: ادفع لي رمانة أخرى فدفع له ما طلب منه فوجد الرمانة الأخيرة أحسن وأطيب من الأولى فقال الأمير له: كيف صلحت؟

قال له الصبي: إنما صلحت بصلاح نية الأمير.

ثانيا: ارتكاب المعاصي

تمهيد :ان اقتراف الذنوب والانهماك في الشهوات تجعل الانسان لا هم له حتى عند الموت إلا بما يشتهيه من الدنيا، فهو في قلبه إيمان وحبٌّ لله، لكنه محجوب بما ران على قلبه من المعاصي، فيعذب بذنوبه لكن دون عذاب الكافرين قَالَ

---

(١)الكافي، الكليـــــني، محمد بن يعقوب، ج٢ ص١٢٧، باب الحـــب في الله والبغض في الله، ح١١.

تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين: ١٤-١٥]، فقد ورد عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنبًا خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإذا تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدًا، وهو قول الله تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ [المطففين: ١٤](١).

ومن مصاديق ارتكاب المعاصي والآثام:

١. الاستهتار بالذنب

فيشتهر بالكذب واخذ الربا او بالزنا ... وهو يضحك إذ لا بأس عنده لذلك، وكأن المسألة طبيعية **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] لذا المتجاهر بالفسق لا غِيْبَة له، لأنه لا يتأذى من ذلك.

٢. نسيان التوبة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الروم: ١٠]

علامات سوء العاقبة

أولا: يعيش قساوة القلب

---

(١) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، امين الاسلام أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي ،١٠، ٢٩٣.

قسوة القلب تعني ذهاب اللين والرحمة والخشوع من الإنسان بسبب أغشية الجهل والذنوب التي تتراكم على القلب، فتكون مانعة من قبول الحقيقة، وتقبل الوعظ والنصيحة، والاهتداء إلى الطريق القويم.قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٧٤]

وفي الرواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال إن لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة ووهن في العبادة. وما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

...مثلا: لاحظ حالتك مع دعاء كميل ذلك الأسبوع وهذا الأسبوع، وكذلك الأمر بالنسبة للصلاة والحج ... دائما قيسوا الصلاة بالصلاة والحج بالحج .... فهي من المقاييس التي تكشف سلامة القلب.

ثانيا: يُسلب منه الميل إلى الطاعات المستحبة

فلا يرى للعمل المستحب جاذبيته القديمة، فلا فرق عنده إن عمل وإن لم يعمل. إن صلى جماعة وإن لم يصل.

ثالثا: أن يُسلب منه الميل للواجبات

فيصلي صلاة الصبح على مضض، يصلي بعد عودته من العمل لكي يتهنأ بالأكل، وكأن الصلاة مقدمة لأن تكون الأكلة أكلة هنيئة.

علاج هذه العاقبة السيئة

أولا: مراقبة السلوك.

ثانيا: ترك الحرام بكل صوره قدر الإمكان.

ثالثا: الاستغفار...

رابعا: تذكر الموت والقيامة من موجبات حسن العاقبة.

قال النبي محمد ﷺ: أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة(١).

خامسا: الصدقات اليومية صباحا ومساء، فالصدقات تدفع البلاء، ومن البلاء الوقوع في الذنب.

سادسا: كثرة ممارسة الطاعات والذكر والصلوات... فإنها تشغله عن بعض أمور الدنيا وتشغل قلبه بعد ذلك بحب الله عن حب الدنيا.

سابعا: يرغِّب نفسه بالصلاح وأهل الصلاح وعمل الصالحين ...

ثامنا: الحذر من حب الدنيا وطول الأمل...

تاسعا: قراءة الاستعاذات الصباحية (اَصْبَحْتُ اَللّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمامِكَ الْمَنيعِ الَّذي لا يُطاوَلُ وَلا يُحاوَلُ مِنْ شَرِّ كُلِّ غاشِم وَطارِق مِنْ سائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَما

---

(١)بحار الأنوار ،المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٦ ، ص ١٣٧ ، ح٤١ .

خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ الصّامِتِ وَالنّاطِقِ في جُنَّة مِنْ كُلِّ مَخُوف بِلِباس سابِغَة وَلاءِ اَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ مُحْتَجِباً مِنْ كُلِّ قاصِد لي اِلى اَذِيَّة بِجِدار حَصين...)(١).

عاشرا: بالتوبة

قال رسول الله ﷺ : إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله وستر عليه. قيل: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله تعالى حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب (٢).

وهب النصراني رضي الله عنه تائب كربلاء

ومن التائبين الناجين دنيا واخرة وهب النصراني وعائلته...بعد اسلامه على يد الحسين عليه السلام التحق بعاشوراء الحسين عليه السلام ... وكان له موقف مشرف ففي الخبر المنبري ... انه استأذن الحسين عليه السلام للشهادة ... وقدْ تعلَّقتْ به زوجتُه، وهي تسأله: إلى أينَ تمضي يا وهبُ، وتتركني هنا؟ يقول لها: ارجعي، فتقول له أمُّه: لا تلتفِتْ إليها يا وهبُ، اذهبْ وبيِّضْ وجهي عند فاطمةَ الزهراءَ. يتوجَّهُ وهبٌ ناحيةَ الإمام الحسين، وإذا بصوتٍ يصدَحُ من خلفِهِ يناديه: يا وهبُ، قاتِلْ دون الطيّبين، فداكَ أبي وأمّي. نَظرَ وهب وإذا بزوجتِهِ تركضُ خلفَهُ، عادَ إليها وهو يقول: أمةَ اللهِ، قبلَ قليلٍ كُنتِ تمنعينَني عن القِتالِ، وأراكِ الآنَ

---

(١)مفاتيح الجنان ، القمي ، الشيخ عباس القمي ، تعقيب صلاة الصبح .

(٢)أنظر: الكافي، الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني، ٢،٤٣٦، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح١٢.

تَحثِّينني، ما الذي جَرى؟ قالت: يا وهب، لا تلُمْني، إنَّ واعيةَ الحسينِ كَسَرتْ قلبي، فقال لها: ماذا سَمعتِهِ يقول؟ قالتْ: رأيتُه جالساً ببابِ الخيمةِ ينادي: هل من ناصرٍ ينصرُنا لوجهِ الله؟ هل من معينٍ يعينُنا؟

يـــــگِلْها هالســاعه كِنْتِ تِمْنِعِيني ... يَهَلْ الحُــــــرَّه ولِفيتي تَشــجْعيني
وصــوتِـكَ بـالحرُبْ زيّـد ونـيـنـي ... وعلى الخدِّين ســالتْ دَمعةِ العين
تِـــــگِلَّه لا تـــــلومْ الگلُب لو هَمّ ... يحـگّ لحســين تجري دموعنـا دَم
والله ابو الســجاد شِـفْتَه بباب الْخَيَم ... ينادي ولا حِصَلَّه بـــكربلا امْعين

نادى وهب: سيِّدي أبا عبد الله، خذْ زوجتي إليك، أقبَلَ الإمامُ الحسينُ إليها وقال: أَمَةَ الله، كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا، ارجعي، قالت: سيّدي أخافُ أن يُقتلُ زوجي وأُسبَى من بعدِه، فقال لها الإمام: أَمَةَ الله، أَوَما ترضين أن يكونَ مصيرُك كمصيرِ زينبَ وعائلتي؟ قالت: سيّدي، أَوَتُسبى زينب؟! قال: بلى، مِن مجلسٍ إلى مجلسٍ، ومن مكانٍ إلى مكانٍ...

أقول: سيّدي أبا عبد الله، أنت كنت ترعى النساء والأرامل وتهدّئ من روعهنّ وتسلّي مصائبهنّ، ولكن سيّدي أنا لا أدري ما حالك عندما خرجت الحوراء زينب وهي تنادي: وا أخاه واسيّداه واحسيناه...

نعم أقبلت عليها السلام حتّى وصلت إلى مصرع المولى رأته يجود بنفسه وجراحاته تشخب دماً، جلست عند رأسه وأخذت تخاطبه وتكلّمه: أخي أبا عبد الله، كلّمني بحقّ جدّنا رسول الله، بحقّ أبينا عليّ، بحقّ أمّنا فاطمة كلّمني، فتح

الإمام عينيه قال: أخيّة زينب لقد كسرت قلبي وزدت كربي، ارجعي إلى المخيّم واحفظي لي العيال والأيتام...

خويـــــه انا بعيني لباريلك عيالك وبروحي لسـكتلك اطفالـك

خويه الموت لو يرضى بدالك نروح كل احنا فدا لك

قالت: أخي أبا عبد الله إلى من نلتجئ، إلى من نفزع من بعدك؟ أخي حسين، مات جدّنا رسول الله ففزعنا إلى أبيك عليّ، مات أبونا عليّ ففزعنا إلى أخيك الحسن، مات أخوك الحسن ففزعنا إليك، فإلى من نفزع من بعدك يا أبا عبد الله؟

دحاجيني يخويه او رد لي الروح امغمض ليش واعله الگاع مطروح

أظن ما تگدر امن الجروح عمت عيني عليك اوبلت روحي

خوي انادي وما يشجيلك نداي ولا تسمع عتابي ونخواي

انا المن بعد يحسين شكواي خوي ظني انقطع وانقطع رجواي

مَنْ لِي حِمًى بَعْدَ الحُسَيْنِ وَمُعْتَصَمْ إِنْ جَلَّ خَطْبٌ فَادِحٌ وَبِنَا أَلَمْ

نَـــادَيْتُ لَمَّا غَابَ بَدْرُ سَمَا الكَرَمْ يَا غَائِباً عَنْ أَهلِهِ أَتَعُودُ أَمْ

تَبْقَى إِلَى يَوْمِ المَعَادِ مُغَيَّبَا؟

الموضوع: سوء العاقبة، أسبابها ، علاجها/٢

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾ [هود: ٤٩]

مفهوم حسن وسوء العاقبة

قلنا حديثنا عن العاقبة بمفهومها السلبي ...ويفهم من جملة من الروايات أن الإنسان قد يكون مؤمنًا ثابتًا على إيمانه، وقد يكون كافرًا ثابتًا على كفره، وقد يتقلّب بين الكفر والإيمان...

وإليك هذا الحديث لبيان هذا المفهوم:

- عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وآله...: «... إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا» (١).

أسباب سوء العاقبة

أولا: خبث الباطن والسريرة (النية القلبية)

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري رقم ٦٦٠٧.

تحدثنا عنه في المحاضرة السابقة ...

ثانيا: ارتكاب المعاصي

تمهيد :ان اقتراف الذنوب والانهماك في الشهوات تجعل الانسان لا هم له حتى عند الموت إلا بما يشتهيه من الدنيا، فهو في قلبه إيمان وحبٌّ لله، لكنه محجوب بما ران على قلبه من المعاصي، فيعذب بذنوبه لكن دون عذاب الكافرينقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [المطففين: ١٤-١٥]، فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنبًا خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإذا تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبدًا، وهو قول الله تَعَالَىٰ:﴿ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم ﴾ [المطففين: ١٤](١).

ومن مصاديق ارتكاب المعاصي والآثام:

٣. الاستهتار بالذنب

فيشتهر بالكذب واخذ الربا او بالزنا ... وهو يضحك إذ لا بأس عنده لذلك، وكأن المسألة طبيعية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ

---

(١) تفسير مجمع البيان، الطبرسي، امين الاسلام أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي،١٠، ٢٩٣.

بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] لذا المتجاهر بالفسق لا غِيْبَة له، لأنه لا يتأذى من ذلك.

٤. نسيان التوبة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ ﴾ [الروم: ١٠]

علامات سوء العاقبة

أولا: يعيش قساوة القلب

قسوة القلب تعني ذهاب اللين والرحمة والخشوع من الإنسان بسبب أغشية الجهل والذنوب التي تتراكم على القلب، فتكون مانعة من قبول الحقيقة، وتقبل الوعظ والنصيحة، والاهتداء إلى الطريق القويم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤ ﴾ [البقرة: ٧٤]

وفي الرواية عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال إن لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة ووهن في العبادة. وما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب.

ثانيا: يُسلب منه الميل إلى الطاعات المستحبة

فلا يرى للعمل المستحب جاذبيته القديمة، فلا فرق عنده إن عمل وإن لم يعمل. إن صلى جماعة وإن لم يصل(١) .

ثالثا: أن يُسلب منه الميل للواجبات

مثلا يصلي صلاة الصبح على مضض...

علاج هذه العاقبة السيئة

أولا: مراقبة السلوك.

ثانيا: ترك الحرام بكل صوره قدر الإمكان.

ثالثا: الاستغفار...

رابعا: تذكر الموت والقيامة من موجبات حسن العاقبة.

قال النبي محمد صلى الله عليه وآله: أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكر ذكر الموت، فمن أثقله ذكر الموت وجد قبره روضة من رياض الجنة(٢).

---

(١)...مثلا: لاحظ حالتك مع دعاء كميل ذلك الأسبوع وهذا الأسبوع، وكذلك الأمر بالنسبة للصلاة والحج ... دائما قيسوا الصلاة بالصلاة والحج بالحج .... فهي من المقاييس التي تكشف سلامة القلب.

(٢) بحار الأنوار، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٦ ، ص ١٣٧، ح٤١ .

خامسا: الصدقات اليومية صباحا ومساء، فالصدقات تدفع البلاء، ومن البلاء الوقوع في الذنب.

سادسا: كثرة ممارسة الطاعات والذكر والصلوات... فإنها تشغله عن بعض أمور الدنيا وتشغل قلبه بعد ذلك بحب الله عن حب الدنيا.

سابعا: يرغِّب نفسه بالصلاح وأهل الصلاح وعمل الصالحين ... عن الإمام الباقر عليه السلام : إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرًا فانظر إلى قلبك، فإن كان يحبّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب(١).

ثامنا: الحذر من حب الدنيا وطول الأمل...يقول امير المؤمنين عليه السلام : ألا إن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الامل أما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الامل فينسى الآخرة(٢) .

تاسعا: قراءة الاستعاذات الصباحية (اَصْبَحْتُ اَللّهُمَّ مُعْتَصِماً بِذِمامِكَ الْمَنيعِ الَّذي لا يُطاوَلُ وَلا يُحاوَلُ مِنْ شَرِّ كُلِّ غاشِم وَطارِق مِنْ سائِرِ مَنْ خَلَقْتَ وَما

---

(١) الكافي، الكليني ، محمد بن يعقوب الكليني ، ج٢ ص١٢٧، باب الحب في الله والبغض في الله، ح١١.

(٢) بحار الأنوار ، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٣٢ ، ص ٣٥٥.

خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِكَ الصّامِتِ وَالنّاطِقِ في جُنَّة مِنْ كُلِّ مَخُوف بِلِباس سابِغَة وَلاءِ اَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكَ مُحْتَجِباً مِنْ كُلِّ قاصِد لي اِلى اَذِيَّة بِجِدار حَصين...)(١).

عاشرا: بالتوبة

قال رسول الله ﷺ : إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله وستر عليه. قيل: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله تعالى حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب (٢).

المصيبة

ومن أبواب التوبة مجالس الوعظ والإرشاد لاسيما المصحوبة بذكر سيد الشهداء عليه السلام وما جرى من مصائب في عاشوراء ومن تلك المصائب خروج الحوراء زينب عليها السلام الى جسد المولى ابي عبد الله عليه السلام وهو مطروح على رمضاء كربلاء ...فلنرقق قولبنا بهذه المصيبة ...قالت: أخي أبا عبد الله إلى من نلتجئ، إلى من نفزع من بعدك؟ أخي حسين، مات جدّنا رسول الله ففزعنا إلى أبيك عليّ، مات أبونا عليّ ففزعنا إلى أخيك الحسن، مات أخوك الحسن ففزعنا إليك، فإلى من نفزع من بعدك يا أبا عبد الله؟

دحاجيني يخويه او رد لي الروح   امغمض ليش واعله الگاع مطروح

---

(١)مفاتيح الجنان ، تعقيب صلاة الصبح .

(٢)أنظر: الكافي، الكليني، ٢،٤٣٦، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ح١٢ .

أظـن مـا تـگـدر امـن الجـروح　　عمـت عيني عليـك اوبلـت روحي

خوي انادي وما يشـجيلك نداي　　ولا تســـمـع عـتـابي ونـخـواي

انا المن بعد يحسين شكواي خوي　　ظـنـي انـقـطـع وانـقـطـع رجـواي

مَنْ لِي حِمًى بَعْدَ الحُسَـيْنِ وَمُعْتَصَـمْ　　إِنْ جَـلَّ خَـطْـبٌ فَـادِحٌ وَبِـنَـا أَلَمْ

نَـــادَيْتُ لَمَّا غَابَ بَدْرُ سَـمَا الكَرَمْ　　يَـا غَـائِـبـاً عَـنْ أَهـلِـهِ أَتَـعُـودُ أَمْ

تَبْقَى إِلَى يَوْمِ المَعَادِ مُغَيَّبَا؟

الموضوع: موت القلب

قال تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ ﴾ [البقرة: ٧].

يقول العلامة ناصر مكارم الشيرازي دام ظله :هذا الصنف من الناس أجهزة استقبال الحقائق معطوبة عندهم، العين التي يرى المتقون فيها آيات الله، والأُذن التي يسمعون بها نداء الحق، والقلب الذي يدركون به الحقائق، كلها قد تعطّلت وتوقفت عن العمل ... هؤلاء لهم عيون وآذان وعقول، لكنهم يفتقدون قدرة «الرؤية» و«الإدراك» و«السمع». لأن انغماسهم في الإنحراف وعنادهم ولجاجهم كلها عناصر تشكل حجاباً أمام أجهزة المعرفة.

ومن الآيات التي بينت هذه الحقيقة قوله سبحانه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۞ ﴾ [النحل: ١٠٨]

حكمة الختم والطبع المنسوب لله سبحانه

سؤال: لماذا ختم وطبع الله على قلوبهم؟

الجواب (١): إن هذا الختم وهذا الحجاب هما نتيجة إصرار هؤلاء ولجاجهم وتعنتهم أمام الحق، واستمرارهم في الظلم والطغيان والكفر.

- قال تعالى ﴿ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [النساء: ١٥٥]
- قال تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر: ٣٥]
- قال تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية: ٢٣].

كل هذه الآيات تقرر أنّ السبب في سلب قدرة التشخيص، وتوقف أجهزة الإدراك عن العمل يعود إلى الكفر والتكبر والتجبر واتباع الهوى واللجاج والعناد أمام الحق، هذه الحالة التي تصيب الإنسان، هي في الحقيقة ردّ فعل لأعمال الإنسان نفسه قال تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ [هود: ١٠١].

وهذا هو موت القلب المعبر عنه في الذكر الحكيم وأحاديث المعصومين عليهم السلام بـ(الطبع) أو الـ (ختم).

من اهم عوامل موت القلب

أولا: الاعمال السيئة على مستوى الفروع والأخلاق

(١) تفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، الشيرازي، العلامة ناصر مكارم الشيرازي، سورة البقرة الآية « ٧ ».

إن كل إنسان يجد من نفسه أنها تتأثر بما تقوم به من أفعال وسلوك، وتتكيف تدريجيا على ضوء تلك الآثار، وقد تناولت النصوص الإسلامية ما للذنوب من تأثيرات سلبية على إظلام القلب وتلويثه. وتتأكد هذه التأثيرات السيئة مع إصرار الإنسان على الذنوب، لتغوص روحه في ظلمات الضلال، وتكسو قلبه أغشية الرين والصدأ، وتحول دون نفوذ نور الهداية والإيمان، فإن تدارك نفسه بالتوبة والإقلاع عن الذنوب، أمكن لقلبه أن يتعافى وتزول عن هذه الأغشية تدريجيا، وإن تمادى في اجتراح المعاصي ولم يتب، انغلق قلبه عن تقبل أي شكل من أشكال النصح والوعظ، ويزداد قلبه إيغالا في القسوة، حتى يصل به الأمر إلى تشوه الحقائق وعدم تميزها عن الأمور الباطلة، ثم تنقلب عنده الموازين فيرى الحق باطلا والباطل حقا. وينقطع خط وصله بأسباب النجاة.

قال تعالى ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المطففين: ١٤]

وفي روايات أهل البيت عليهم السلام تأكيد واضح على هذا المعنى، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال: إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منه، وان زاد زادت فذلك الرين الذي ذكره الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال قَالَ مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وفِي قَلْبِه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ فَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْباً خَرَجَ فِي النُّكْتَةِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِنْ تَابَ ذَهَبَ ذَلِكَ السَّوَادُ وإِنْ تَمَادَى فِي الذُّنُوبِ زَادَ ذَلِكَ السَّوَادُ حَتَّى يُغَطِّيَ الْبَيَاضَ فَإِذَا غَطَّى الْبَيَاضَ لَمْ يَرْجِعْ

صَاحِبُه إِلَى خَيْرٍ أَبَداً وهُوَ قَوْلُ اللهَّ ﷻ ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ [المطففين: ١٤].

ثانيا: دور الشيطان والنفس الامارة بالسوء

يذكر سماحة السيد مرتضى الحسيني الشيرازي دام ظله (١): أن القرآن الكريم في أكثر من موضع بين أن الإنسان يلج ساحة الانحرافات ويتكدر قلبه بأغشية الرين بشكل تدريجي لا دفعي فوري، وذلك في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ [البقرة: ١٦٨].

والشيطان بمكره يدفع الإنسان إلى الخطوة الأولى في طريق المعاصي ويهون له أمر ما يقترفه، وحينما يقع الإنسان في شراك الذنب في خطوته الأولى يسهل استدراجه من قبل الشيطان في بقية الخطوات، حتى ينزل إلى هوة المعاصي والذنوب، ويصل إلى مراحل متأخرة لا يرجى معها إنابته إلى الصلاح والهداية، وهذا ما يشير إليه قول الإمام الباقر عليه السلام المتقدم آنفا (فَإِذَا غَطَّى الْبَيَاضَ لَمْ يَرْجِعْ صَاحِبُه إِلَى خَيْرٍ أَبَداً).

ولما كان الأمر كذلك فقد يخفى على الإنسان تلبس قلبه بلباس الرين بسبب انغماسه في المعاصي، ويحسب نفسه من المحسنين، وهذه من أخطر مراحل قسوة القلب والختم عليه لأنها قسوة خفية لا يلتفت إليها حتى الإنسان بنفسه وهو

---

(١) من محاضرة في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

ما نعبر عنه بالنفاق الخفي أو النفاق القلبي الباطني الذي قد يخفى حتى على القلب.

نموذج للانحراف التدريجي: فرقة الواقفية

سؤال: من هم الواقفية؟

الجواب (١): الواقفية: وهم الذين قالوا بثمانية أئمة: علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا، ووقفوا عنده، ولم يتجاوزوا إلى غيره، وزعموا أن الرضا هو المهدي المنتظر. وهم من الفرق البائدة.

سؤال: من المؤسس لهذه الفرقة؟ وما كان عمل هؤلاء؟ وما هو سبب انحرافهم؟

الجواب:

تم تأسيس هذه الفرقة على يد:

١. علي بن أبي حمزة البطائني.

٢. عثمان بن عيسى الرواسي.

٣. زياد القندي.

وهؤلاء كانوا وكلاء عند الإمام الكاظم عليه السلام

---

(١) الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية، فرق الشيعة.

وسبب الانحراف زخارف الدنيا من الأموال والجاه وحب النساء يقول الشيخ الصدوق ﭬ :والسبب في ذلك (أي في وقفهم) أن أبا الحسن ﭺ مات وليس من قوامه أحد إلا عنده مال كثير وكان ذلك سبب وقفهم وجحودهم لموته، وكان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وكان أحد القوام عثمان بن عيسى العامري الكلابي الرواسي وكان بمصر وعنده مال كثير وست جوار، فبعث إليه أبو الحسن علي ابن موسى ﭺ في المال وفيهن، فأجاب وكتب إليه ان أباك لم يمت، فكتب ﭺ إليه ان أبي قد مات وقد اقتسمنا ميراثه وقد صحت الاخبار بموته، فكتب إليه إن لم يكن أبوك مات فليس من ذلك شيء، وإن كان قد مات على ما تحكي فلم يأمرني بدفع شيء إليك وقد أعتقت الجواري وتزوجهن(١).

تنبيه: يمكن للخطيب بيان مصاديق للمنحرفين المعاصرين (تنظيم داعش واخواتها ...ومن تلبس بزي العلم والعلماء ووعاظ السلاطين وما اكثرهم والروايات حذرت منهم ففي الرواية عن رسول الله ﷺ ... وهو يتحدث عن علامات اخر الزمان ...وقلَّ الفقهاء الهادون وكثر فقهاء الضلالة والخونة...(٢).

---

(١) من لا يحضره الفقيه ، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بـ الشيخ الصدوق، الواقفية .

(٢) بحار الأنوار ، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٥١ ، ص ٧٠.

وهكذا بدئت مسيرة الانحراف منذ نعومة اظفار المسلمين وظهرت بوادرها بعد شهادة النبي ﷺ الى ان وصل الطلقاء واولادهم الى تسنم مراكز مهمة في الدولة الإسلامية بل انحصرت قيادة الدولة الإسلامية بأشخاصهم ومثاله معاوية بن ابي سفيان ومن بعده يزيد والذي توجها بواقعة كربلاء ...بحيث أصبح المسلمين في الاعم الاغلب لهم القدرة والقابلية على قتل الحسين عليه السلام والـ بيته والثلة ممن التحق به ... بل تسافلوا الى دركات هذا الانحراف والانحدار ان يسبوا بنات الرسالة ... !!

يبقل بعض السادة من الخطباء أنه رأى الخطيب الشيخ عبد الهادي الكربلائي في الرؤيا بين حرم المولى أبي عبد الله وحرم أخيه العباس فالتفت اليه الشيخ وقال: سيدي تدري ما هي الشكوى التي بثتها العقيلة زينب لما عادت يوم الاربعين؟ قال: ما هي (١)؟

تــــكله خوي اخبرك راح الحجاب وطبينا ياخـــــوي ديوان الاجناب

وكـعـدنـا بـخـرابـة عـلى الاتـراب عفى كلبي يخويه شــلون مـا ذاب

وهذه الجريمة أي جريمة السبي عبَّر عنها الإمام وصاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في زيارة الناحية المقدَّسة بقوله:" فلأندبنَّك صباحاً ومساءً، ولأبكينَّك بدل الدموع دم "، حيث ينقل العالم الواعظ الملا سلطان علي التبريزي أنه تشرَّف في

---

(١) معين الخطباء في مجالس عاشوراء، السيد حسين نجيب محمد ،ص٤٣٣ .

عالم الرؤيا بمشاهدة ولي الله الأعظم عجل الله تعالى فرجه الشريف وسأله عن المعنى المراد من هذا المقطع من الزيارة وما المراد منه، وما هي المصيبة التي يبكي عليها صاحب العصر والزمان بدل الدموع دماً، ثم قال له: أهي مصيبة علي الأكبر؟ فأجابه الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف: " لا... لو كان علي الأكبر حياً، لبكى هو أيضاً على هذه المصيبة دم "، ثم قال له: أهي مصيبة العباس عليه السلام؟ قال عجل الله تعالى فرجه الشريف: " لا، لو كان العباس حياً، لبكى دماً عليها أيضا "، ثم قال له: هي مصيبة سيد الشهداء عليه السلام إذن؟ قال عجل الله تعالى فرجه الشريف: " لو كان سيد الشهداء حياً لبكى دماً عليها أيضا "، فقال له أخيراً: إذن أي مصيبةٍ هذه؟ فأجابه الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف: إن هذه المصيبة هي سبي زينب عليها السلام.

يبن الحسن شيل اللوا وگوم   يمندوب لأخذ الثار كل يوم
تنسه الغريب المات مظلوم   عطشان ومن الماي محروم
تنسه سبي زينب او كلثوم   سارت سبايا وتطوي الحزوم

أَتَنْسَى أَبِيَّ الضَّيْمِ فِي الطَّفِّ مُفْرَداً   تَحُومُ عَلَيْهِ لِلوَداعِ فَواطِمُه
أَتَنْساهُ فَوْقَ التُّرْبِ مُنْفَطِرَ الحَشَى   تَناهَبُهُ سُمْرُ الرَّدَى وَصَوارِمُه

الموضوع: عاقبة حب الدنيا

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقفة مقتضبة مع النص

الآيات او الدلائل في النص

قبل الجواب لابد من الإشارة ان في هذا النص عدة آيات رغم اللفظ بصيغة المفرد والسؤال: **هل هي آية ام آيات؟**

الجواب:

آيات عديدة رغم لفظ النص جاء بصيغة المفرد قال تعالى ﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ ﴾ الا ان التنوين في كلمة الآية « بِآيَةٍ » جاء هنا لبيان عظمة هذه الآية، لا لبيان وحدتها.

الآيات في النص

أولا: بث الحياة في الاموات

ولمّا كانت دعوة الأنبياء في الحقيقة دعوة إلى حياة حقيقية، فإنّ هذه الآية ...تبدأ بذكر بثّ الحياة في الأموات بإذن الله، وتقول على لسان المسيح عليه السلام ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾.

سؤال: بم تميزت معجزة النبي عيسى عليه السلام في احياء الأموات؟

الجواب:

قضية إحياء الموتى التدريجي بإذن الله ليست عويصة، لأنّنا نعلم أنّ جميع الكائنات الحيّة مخلوقة من التراب والماء وبالتدرج، إلاّ أنّ معجزة النبي عيسى عليه السلام اختصرت التدرج في الخلق الى الخلق الدفعي، ويتحوّل الطين إلى كائن حي.

ثانيا: معالجة الامراض المستعصية

معالجة الأمراض الصعبة العلاج أو التي لا علاج لها، وتقول الآية على لسانه عليه السلام : ﴿ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ (١) وَٱلۡأَبۡرَصَ ﴾.

لاشكّ أنّ القيام بكلّ هذه الأعمال وخاصّة لدى علماء الطبّ في ذلك الزمان كان من المعجزات التي لا يمكن إنكارها.

---

(١) «اكمه» قيل أنه يعني أعمى، وذهب بعض إلى أنه العشو الليلي، ولكن اغلب المفسّرين وأرباب اللغة ذهبوا إلى أنه يعني الأعمى منذ الولادة. وبعض ذهب إلى أكثر من ذلك بأن المراد هو عدم وجود أصل العين.

ثالثا: احياء الموتى

قال تعالى ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

هذه المعاجز الثلاث تدخل في الولاية التكوينية والسؤال ماذا تعني هذه الولاية؟

الجواب:

الولاية تنقسم الى قسمين:

الأولى: الولاية التشريعية: وتعني إدارة الناس وحكمهم ونشر قوانين الشريعة بينهم ودعوتهم إلى الله وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

الثانية: الولاية التكوينية: تعني التصرف في عالم الخلق بإذن الله.

وهذا مقام أرفع من مقام الولاية التشريعية.

وهذه الآية وآيات أُخرى تفيد أنّ رسل الله وأولياءه يستطيعون بإذن منه وبأمره ـ إذا اقتضى الأمر ـ أن يتدخّلوا في عالم الخلق والتكوين، وأن يحدثوا ما يعتبر خارقاً للقوانين الطبيعية.

هل هذا التصرف باستقلال عن القدرة الإلهية؟

الجواب: قال تعالى ﴿ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٩].

لسان الآية

١. لكيلا يتصوّر أحد أنّ الأنبياء والأولياء كان لهم استقلال في العمل، وأنّهم أقاموا جهازاً للخلق في مقابل جهاز خلق الله.

٢. وكذلك لكيلا يكون هناك أيّ إحتمال للشرك وللعبادة المزدوجة، تكرّر قول «بإذن الله» ، وبذلك يتضح جواب الذين ينكرون ولاية أهل الله التكوينية يعتبرونها ضرباً من الشرك.

٣. كما يُستنتج من هذه الآية أنّ كثيراً من معجزاتهم ـ على الأقل ـ قد فعلوها بأنفسهم، وإن كان ذلك بإذن الله وبعون من القدرة الإلهية (١).

٤. الجدير بالإلتفات هنا إن تكرار القول «بإذن الله» والاعتماد على مشيئته في هذه الآية من أجل ألا يبقى عذر لمدعي اُلوهية المسيح، ولكيلا يعتبره الناس ربّاً، أما عدم تكرارها في الأخبار بالغيب لوضوح الأمر.

رابعا: اخباره عن اسرار الناس

﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ ﴾

إخباره عن أسرار الناس الخافية، فلكلّ امرىء في حياته بعض الأسرار التي لا يعرف الآخرون شيئاً عنها.

---

(١) في الواقع يمكن القول بأنّ المعجزة من عمل الأنبياء ـ لأنّهم هم الذين يقومون بها ـ كما هي من عمل الله لأنّها تتمّ بإذنه وبالاستعانة بقدرته.

فإذا جاء من يخبرهم بما أكلوه، أو ما ادّخروه، فهذا يعني أنّه يستقي معلوماته من مصدر غيبي.

وأخيراً يقول إنّ هذه كلّها دلائل صادقة للذين يؤمنون منكم: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

من قصص احياء الموتى: ويحكم ما كانت أعمالكم؟

عن الامام الصادق عليه السلام قال: مر عيسى ابن مريم عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها، فقال عليه السلام: أما إنهم لم يموتوا إلا بسخطة، ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا، فقال الحواريون يا روح الله وكلمته، ادع الله أن يحييهم لنا، فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنجتنبها فدعى عيسى عليه السلام ربه، فنودي من الجو: أن نادهم. فقام عيسى بالليل على شرف من الأرض فقال: يا أهل هذه القرية فأجابه منهم مجيب لبيك يا روح الله وكلمته فقال: ويحكم ما كانت أعمالكم؟ قال: عبادة الطاغوت، وحب الدنيا مع خوف قليل، وأمل بعيد وغفلة في لهو ولعب، فقال: كيف كان حبكم للدنيا؟ قال: كحب الصبي لأمه إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا، وإذا أدبرت عنا بكينا وحزنا، قال عليه السلام: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟ قال: الطاعة لأهل المعاصي، قال عليه السلام: كيف كانت عاقبة أمركم؟ فقال: بتنا في ليلة في عافية، وأصبحنا في الهاوية، فقال: وما الهاوية؟ قال سجين قال عليه السلام وما السجين؟ قال: جبال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة. قال عليه السلام فما قلتم؟ وما قيل لكم؟ قال: قلنا ردنا إلى الدنيا فنزهد فيها، قيل لنا: كذبتم

قال: ويحك، كيف لم يكلمني غيرك من بينهم؟ قال: يا روح الله، إنهم ملجمون بلجم من نار، بأيدي ملائكة غلاظ شداد، وأنا كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل العذاب عمني معهم: فأنا معلق بشعرة على شفير جهنم، لا أدري أكبكب فيها أم أنجو منها فالتفت عيسى عليه السلام إلى الحواريين، وقال: يا أولياء الله، أكل الخبز اليابس بالملح الجريش، والنوم على المزابل، خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة.

المصيبة

اذن حب الدنيا ... ومن مصاديقه حب الحياة ... ويظهر ذلك عند البلاء ...قل الديانون ... ومن النّاس من لا يُطيق البلاء ولا يتحمّله لأنّه يعبد الله على حرف! أي يعبد الله ما وافقت هذه العبادة مصالحه الدنيويّة وأهواءه النفسيّة، فإنّ أصابه خيرٌ اطمأنّ به، وإن محصّ بالبلاء انقلب على وجهه فخسر الدنيا والآخرة! يقول الإمام الحسين عليه السلام مشيراً إلى أمثال هؤلاء:" النّاس عبيد الدنيا، والدّين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون"!

أمّا المؤمنون العارفون بالله تعالى فهم ليسوا لا يهربون من البلاء أو لا يتذمّرون منه وحسب، بل يرونه علامة لطف الله بهم، وسبباً لتطهير أرواحهم وقلوبهم وتصفية أعمالهم، ولفضيلته وعظيم ثوابه تراهم يرحّبون به.

يقول الإمام الصادق عليه السلام :"إنّ الله إذا أحبَّ عبداً غتّه بالبلاء" وورد في الروايات أنّ هكذا بلاءات هي إمّا هدية من قبل الله تعالى أو علوّ درجة عند الله تعالى لعبده المبتلى، وتتناسب شدّة الابتلاء تناسباً طرديّاً مع قوّة الإيمان، ومن هنا نقرأ أنّ الله تبارك وتعالى قد ابتلى الإمام أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام ببلاءات ومحن خاصّة لم يبتل بها أحداً غيره من أوليائه، كذلك فإنّ الصبر على البلاء له أجر الشهيد.

وفي ضوء هذه النظرة والعقيدة، نجد سيّد الشهداء عليه السلام في آخر لحظات عمره الشريف يوم عاشوراء، وقد اشتدّ به البلاء والابتلاء، يناجي محبوبه تبارك وتعالى في آخر مناجاة معه قبل استشهاده، فيصفه بجميل الصفات، ويحمده بأفضل محامده فيذكر منها سبوغ نعمائه وحسن بلائه، قائلاً: "... سابغ النعمة، حسن البلاء...".

ونجده عليه السلام كذلك في يوم عاشوراء يوصي أهل بيته في آخر وداع له معهم قائلاً: "استعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حافظكم وحاميكم، وسينجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع البلاء، ويعوّضكم الله عن هذه البليّة أنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا، ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم".

يفترن خوات إحسين   من خيمة لعد خيمه
ينخن وين راحوا وين   ما كو بالكفر شيمه

كـل خـيـمـه تشـب ابـنـار ردن ضربـن الهـيـمـه

يحوية النار بوسط الخيم تنهاب

او وصـلـت خيلهم للخـدر تنهـاب

المـاعـدهـا عشـيرة اشـلون تنهـاب يليـث الغـاب مـا تلحـك عليْـه

وسار ابن سعدٍ بالنساء حواسرا وخلف جثمان الحسين بقفرة

خويه لتگول ما عندچ امروَّه او لتگول ضيَّعت الأخوَّة

أنه ماخوذه بحسين گوَّه شوف الشمر بيَّه اشسوَّه

سوطه على امتوني اتلوَّه

قال الراوي: لما كان اليوم الحادي عشر من المحرم أمر ابن سعد بأن تحمل النساء على الاقتاب بلا وطاء، فقدمت النياق إلى حرم رسول الله وقد أحاط القوم بهن وقيل لهن: تعالين واركبن فقد أمر ابن سعد بالرحيل، فلما نظرت زينب إلى ذلك قالت:سود الله وجهك يا ابن سعد في الدنيا والآخرة، أتأمر هؤلاء القوم بأن يركبونا ... لما مروا بعيال الحسين عليه السلام على جثث القلى ونظرت زينب عليها السلام إلى جسد أخيها صاحت: يا محمداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة، تسفي عليهم ريح الصبا، قال الراوي: فأبكت كل عدو وصديق وأرادت أن ترمي بنفسها من على ظهر الناقة فناداها السجاد: عمة ارحمي حالي، ارحمي ضعف بدني، عمة إذا

رميت بنفسك من يركبك وأنا مقيد قالت: يا ابن أخي أرد أن أودع أخي الحسين عليه السلام ، فقال لها: عمة ودعي أخاك وأنت على ظهر الناقة فجعلت تنادي:أودعتك الله السميع العليم، يا بن أم والله لو خيروني بين المقام عندك أو الرحيل عنك لاخترت المقام عندك ولو أن السباع تأكل لحمي. فلما رأته لا يجيب ندائها بكت ورنت بالطرف نحو المدينة وكأني بها:

عـــلجثث مـــرَّوا بـالخواتين   عـــمدا او شـــافتهم مطاعين
واعلـه الـوجـه مطروح الحســين   زيـــنب لخوها شـبحت العين
رادت عـــليه فخر النســاوين   من علـه النـاگـه اتطيح بـالحين
نـاده الـولي او ضـــنوة الـطيـبين   عـــمه عـــليهم من تطيحين
اشـــلون يـــا عـــمه تركبين   وانـــه عـــليل او بيه تـدرين
نـــادت يبو الســجاد هـالحين   لـــلكوفه بينـه العـده امعزمين

الموضوع: موجبات حسن ا لعاقبة

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾ [هود: ٤٩]

قلنا في البحث السابق ان هذه الآية من القوانين العامة والتي تربط العاقبة الحسنة بالتقوى في الدنيا والاخرة ...وفي هذه المحاضرة نتعرف على بعض مقدمات حسن العاقبة ومنها:

أولا: الحرص على نقاوة التكوين منذ انعقاد النطفة

لكلِ عاقبةٍ بداية، فسلوك الإنسان منذ بلوغه، بل قبل البلوغ مؤثر في عاقبته، فالذين يحبون ذراريهم. ويفكرون في مستقبل أولادهم لِمَ لا يُفكرون بهم وهم في مراحل الحمل؟ لذا ينصح الزوجان قبل انعقاد النطفة، وأثناءها بمجموعة من الأعمال؛ لأن الشيطان له دور في حياة الإنسان منذ تلك اللحظة ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝٦٤﴾ [الإسراء: ٦٤]، لذا تعبر الروايات عن بعض النواصب المخالفين بشدة بغضهم لأهل البيت عليهم السلام أنهم شرك شيطان، أي أن الشيطان كان له دخلٌ في انعقاد نطفتهم.

ثانيا: الاستقامة في سن المراهقة

بعض الروايات تحدد سن الاضطراب إلى الثامنة عشر كأن المراهقة والتحدي بين الحق والباطل أوجه إلى سن الثامنة عشر، بعدها يبدأ الإنسان يتلون فقد يزداد سوءا أو يزداد حسنا، ولكن كل ذلك مرتبطٌ بسنوات المراهقة. كذلك سن الستين والسبعين صورة طبيعية لسنوات المراهقة؛ لأن الإنسان يعيش قمة فوران الغريزة وقمة الميل إلى شهوات الدنيا. لذا الاستقامة في هذا السن من موجبات حسن العاقبة.

بحث في التربية لمرحلة المراهقة

المسؤول الأول عن تربية المراهق الاسرة (١)

يقع أساس التربية الدينيّة والأخلاقيّة للمراهقين على عاتق الأسرة. فلا بدّ للأسرة من أن تهتمّ بتثبيت العقائد الصحيحة في ذهن المراهق قبل أن يمتلئ بالعقائد المنحرفة والباطلة، إذ يقول الإمام الصادق عليه السلام: بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبِقكم إليهم المرجئة (٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: لمّا نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا

(١) التربية الأسرية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الموقع الالكتروني.

(٢) أصول الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب الكليني، ج٦، ص ٤٧.

يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ﴾ [التحريم: ٦] قال النّاس: كيف نقي أنفسنا وأهلينا. قال أي الرسول ﷺ: اعملوا الخير، وذكّروا به أهليكم، وأدّبوهم على طاعة الله (١).

ويمكن أن نلخّص أهمّ وظائف الوالدين في هذه المرحلة بالنقاط التالية:

١. ترغيب المراهقين بالأعمال العباديّة:

من الأمور التي تؤثّر في تقوية الإيمان: العبادة والدعاء. فعندما يكون الشاب في صدد تربية نفسه إسلاميّاً، يجدر به أن يُولي العبادة والدعاء أهمّيّة خاصّة، وأن يُخصّص ساعة لنفسه في الليل والنهار؛ لكي يناجي فيها ربّه، ويجلي قلبه ويصفّيه.

جاء عن رسول الله ﷺ بحقّ الشاب المؤمن: إنّ أحبّ الخلائق إلى الله عزّ وجلّ شابٌّ حدث السّنّ، في صورة حسنة، جعل شبابه وجماله لله وفي طاعته؛ ذلك الذي يُباهي به الرحمان ملائكته، يقول: عبدي حقّاً (٢).

٢. القدوة والأسوة الحسنة:

---

(١) ستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، النوري الطبرسي، الميرزا حسين النوري الطبرسي ، ج١٢، ص٢٠١.

(٢) أعلام الدين أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الجليل الحسن بن ابي الحسن الديلمي، ص١٢٠.

من الخصائص المهمّة لمرحلة المراهقة؛ هي ظاهرة المحاكاة، فالمراهق يُدقّق في خصوصيّات الوالدين وسلوكيّاتهما، ويحاول محاكاتها والاتّصاف بها في حياته الشخصيّة. من هنا، فإنّ فشل الأبناء في أُسرهم في العثور على الصفات والخصال التي تُرضيهم في أبويهم سوف يدفعهم للّجوء إلى الآخرين؛ ليقتبسوا منهم الخصال والصفات التي يرغبون بتقليدها ومحاكاتها في حياتهم.

ولقد كان وما يزال الشبّان والمراهقون هم الفئة الأكثر تأثّراً وتفاعلاً مع مفهوم التأسّي والاقتداء بالنماذج الإنسانية السامية في الحياة. والإسلام أكّد على هذه الحاجة من خلال الآية الكريمة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]

لذا، ينبغي إطلاع المراهقين على النماذج المشرقة في الحياة التي يُمكن أن تترك أثراً على فكرهم وسلوكهم، وهذا الأمر معين للأهل ومساعد لهم في مجال تربية الأبناء وتعليمهم. من قبيل إطلاعهم ـ مثلا ـ على شخصيّة الإمام علي عليه السلام وهو أول فتى في الإسلام، أو إسماعيل ذبيح الله عليه السلام، أو يوسف عليه السلام ذلك المثل الأعلى في العفة والطهارة ومحاربة النفس والشهوة، أو داود عليه السلام ذلك البطل الذي قهر جالوت وهو لم يتجاوز

الثالثة عشر عاماً، أو فتية أصحاب الكهف، وغيرهم الكثير من النماذج المشرقة في هذه الحياة.

٣. الانسجام بين الوالدين:

من أكبر المشكلات التي يعاني منها المراهق هي اختلاف الوالدين، وعدم انسجامهما مع بعض. فما يُقلِق المراهق ويزعجه هو: التنافر والخلاف، واضطراب العلاقة بين الأبوين. وبالعكس، فإنّ أكبر مصدر للسعادة والراحة والاستقرار بالنسبة للمراهق هو: عند سيادة المودّة والانسجام بين الوالدين. لذا، ينبغي على الأهل بذل الوسع في تحسين العلاقة بينهما على الأسس الشرعيّة والأخلاقيّة؛ لينعم المحيط العائلي بالدفء والسلام المطلوب؛ لبناء روابط عائليّة سليمة. فالأبناء يرون سعادتهم وشقاوتهم من نافذة علاقة أحدهما مع الآخر. إلّا أنّ ـ للآباء لجهة رئاستهم للأسرة ـ الدور الأكبر والأهمّ في خلق التفاهم والانسجام داخل المحيط العائلي. روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ الله لَيُفلِحُ بفلاح الرّجل المؤمن وُلْدَهُ ووُلْدَ وُلْدِهِ، ويحفظه في دوَيْرتهِ ودُوَيْرَاتٍ حوله، فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله، ثمّ ذكر الغلامين فقال﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف: ٨٢] ، ألم تر أنّ الله شكر صلاح أبويهما لهما"(١).

(١) بحار الأنوار، المجلسي ، العلامة محمد باقر المجلسي، ج١٣، ص٣١٢.

٤. العشرة الصالحة:

يساهم الأصدقاء بنسبة عالية في تشكّل شخصيّة الشباب الدينيّة والأخلاقيّة. فما أكثر الشباب الذين انحرفوا إثر مجالستهم أصدقاء السّوء، حيث يقولون بعد إدراكهم لخطئهم واشتباههم: ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٨]. وقد جاء عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال: المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل (١).

ثالثا: عدم الغفلة، وملازمة ذكر الله في الساعات الحرجة، أو المميزة عند الإنسان

من الساعات المؤثرة: ساعات السرور، وساعات الغضب، وساعات الحزن. وهي من المواقف الحرجة الانفعالية في حياة الإنسان، لذا فالمؤمن في أيام زواجه، أيام الخطوبة، أيام العرس، إذا كان يلتزم بما أمر الله به في كل الشؤون، هذا يُرجى له حُسن العاقبة. من موجبات نظرة الله ﷻ لعبده المؤمن في حالات منها:

- أن يكون نائما مع زوجته، فيذكر الصلاة ويقوم إلى المسجد ويصلي. بعد أن كان يعيش وضعا متفاوتا تماما عن وضع المسجد، هذه المجاهدة مشكورة.

---

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، النوري الطبرسي، الميرزا حسين النوري الطبرسي ، ج٨، ص٣٢٧.

- كذلك الأمر بالنسبة لصلاة الليل... هي مجاهدة ومغالبة، ولهذا وعد الله نبيه ﷺ بقوله ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٩] .

بحث: هل يصح معرفة العاقبة بالطرق التالية؟

١. قراءة الكف: يمد يده ليُقرأ ما في يده !!. والاستناد إلى الأوهام، واللجوء إلى السحرة والمشعوذين... يدفع لهم الأموال الطائلة من أجل إبطال (ما هو معمولٌ له). أصل الكلام وهمٌ. والإبطال وهمٌ آخر. المؤمن لا يعيش هذه العوالم. أنت عندما ترى سلبية في الحياة انظر إلى نفسك أولا وقبل كل شيء (١).

٣.الاعتماد على القضاء والقدر واعتقاد الجبر وذلك بسبب الفهم الخاطئ للروايات التي تتحدث عن عاقبة الانسان ومنها ما روي عنهم عليهم السلام بأن: (الشقي شقيٌ في بطن أمه، والسعيد سعيدٌ في بطن أمه) والصحيح هذه الرواية ليس في مقام بيان الجبر بل من معانيها أن الله يعلم بسعادة أو شقاء هذا الإنسان

---

(١) انظر إلى سبب نفور هذه الزوجة منك، قبل أن تبحث عن الطلاسم و (الأعمال) والسحر والشعوذة، انظر إلى سلوكك، فلعلك بسلوكك أغضبتها، وجعلتها تنفر منك، ثم اطلب من الله تليين قلبها، وكذلك الأمر بالنسبة للزوجة التي تشتكي من تغير زوجها. **فأولا**: البحث عن الأسباب المادية الواقعية للنفور. **وثانيا**: تطلب من الله بـ (يا مقلب القلوب)، فالقلوب بيد الله عز وجل ، وقلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء كما ورد لذا علينا ألا نتبع الظن في هذا المجال.

وهو في بطن أمه، وليس معنى ذلك أن هذا العلم يُجبرك على فعل المعصية وسوء العاقبة، ... لذا الله تبارك وتعالى جعل للإنسان المؤمن ليلة القدر محطة من محطات تغيير المقدرات ، في ليلة النصف من شهر شعبان ندعو (اللهم إن كنت أثبت اسمي في ديوان الأشقياء فامحه وثبته في ديوان السعداء ، وإن كنت أثبت اسمي في ديوان السعداء ، فلك الحمد) فلا جبرية في ذلك .

٤ . التعويل على المنامات: قد يرى البعض مناما مزعجا، فيرتب أثرا على هذا المنام. وهذه أمور ظنية والله سبحانه يقول﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يونس: ٣٦] . فلا تتبع الظن خاصة فيما يتعلق بالمنامات، فالمنام الذي يزعجك لا تنشره، وادفع الصدقة عنه.

اذن: اللجوء للمشعوذين من قرّاء الكف والسحرة واعتماد عقيدة الجبر والمنامات لمعرفة العاقبة كلها أوهام وظنون والله سبحانه يقول﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٦]. وينبغي للمؤمن الابتعاد عنها بل تحرم في بعض مواردها وعلى المؤمنين اللجوء الى الله سبحانه بالطرق الشرعية من الصلوات المستحبة والادعية والتوسلات بـآل البيت عليهم السلام والزيارات والصدقات ومن النقاط المهمة هي عرض سلوككم وتصرفاتكم على الموازين الشرعية وعندها

اطمأنوا تكون حياتكم سعيدة وتختم بحسن العاقبة قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨].

نماذج لحسن العاقبة مع بيان مقدماتها

أولا: دور المكارم في حسن العاقبة نموذج: السخاء

في الخبر جيء بثلاثة إلى النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وكانوا يستحقون القتل. وقد دعاهم النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ إلى التوبة فلم يتوبوا، أمر الرسول صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ بقتلهم، فلما جاء دور الثالث، نزل جبرئيل عَلَيْهِالسَّلَامُ وقال له: أمسك لا تقتله، فسأله النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ عن السبب، فقال له جبرئيل عَلَيْهِالسَّلَامُ : إن هذا إنسانٌ سخيٌ، كريم الطبع أثناء كفره ، فسأل هذا الرجل النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ : لِمَ لَمْ تقتلْني كما قتلت صاحبيَّ ؟ فقال له النبي صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ: هكذا أخبرني جبرئيل عَلَيْهِالسَّلَامُ عن الله عَزَّوَجَلَّ ، لأنك إنسانٌ سخيٌ، وكان ذلك سببا في إسلامه.

ثانيا: دور احترام وتعظيم النبي واله عَلَيْهِمُالسَّلَامُ في حسن العاقبة نموذج الحر الرياحي عَلَيْهِالسَّلَامُ.

إن ما حصل عليه الحر في يوم عاشوراء كان من بركات ما قبل العاشر من محرم، ولعل من أسباب ذلك:

أولا: أنه عندما قال له الحسين عَلَيْهِالسَّلَامُ: ثكلتك أمك، ماذا تريد؟ قال له الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها، ما تركت

ذكر أمه بالثكل كائنا من كان، ولكن والله! ما لي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليْه.

ثانيا: موقفه مع الامام الحسين عليه السلام في الطريق ، فرغم أنه جاء بجيش ضخم ليحبس الإمام عليه السلام عن الرجوع ، ولكن عندما حان وقت الصلاة لم ينس الصلاة ، بل أنه اختار الصلاة خلف الإمام عليه السلام جماعة بدل أن يصلي بعسكره منفردا !!

اذن فبالتأكيد أن الكلمة المؤدبة مع الامام الحسين عليه السلام وبخصوص السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وموقفه وفي تقديم الامام الحسين عليه السلام كان له دور أكيد في حسن عاقبته.

المصيبة

سعادة الحر الرياحي عليه السلام بندمه وتوبته

ولذلك عندما وجّهه عبيد الله بن زياد إلى الحسين عليه السلام قال الحرّ: خرجت من القصر-يعني قصر ابن زياد-فنوديت من خلفي: أبشر يا حرّ بخير، فالتفتّ فلم أرَ أحداً، فقلت: والله ما هذه بشارة وأنا أسير إلى الحسين عليه السلام.

ومن هنا عندما تكامل جيش عمر بن سعد وعرف الحرّ عزم القوم على القتال، تنحّى عنهم وجعل يدنو من الحسين قليلاً قليلاً وهو يرتعد ويرتجف، فاستنكر عليه رجل كان بقربه واعتقد أنّه يرتجف من خوف القتال، قائلاً له: لو قيل لي

من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك، فما هذا الذي أرى منك؟ فقال له الحرّ: إنّي والله أخيّر نفسي بين الجنّة والنّار، فوالله لا أختار على الجنّة شيئاً ولو قطِّعت وحُرِقت.

وكان مع الحرّ ابنه، فخاطبه قائلاً بني لا طاقة لي على العار ولا على غضب الجبّار، فقال وما ذاك يا أبه؟ قال: يا بني أما تسمع صوت ابن بنت رسول الله يطلب الناصر والمعين، بني هلمَّ بنا إليه.

ثمّ ضرب فرسه ولحقه ولده وتوجّه نحو الحسين عليه السلام مطأطئ الرأس منكسراً وقَلَبَ ترسه على ظهره وهو يقول: اللهمّ إليك تبت فتب عليّ، فلمّا دنا من الحسين عليه السلام صاح: السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا بن رسول الله، فأجابه الحسين عليه السلام: وعليك السلام، ارفع رأسك من أنت؟ قال: سيّدي أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك في هذا المكان، أنا الحرّ، والله يا سيّدي ما كنت أظنّ أنّ القوم يبلغون بك إلى ما أرى، وأنا الآن تائب نادم، فهل لي من توبة؟ فقال له الحسين عليه السلام: نعم إن تبت يتوب الله عليك، انزل يغفر الله لك.

فقال الحرّ: سيّدي أنا لك فارساً خير منّي راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة وإلى النزول يصير آخر أمري، يا بن رسول الله كنت أوّل خارج عليك فائذن لي أن أكون أوّل قتيل بين يديك –يعني من ذلك الوقت–، وأوّل من يصافح جدّك غداً فقال له الحسين عليه السلام: فاصنع رحمك الله ما بدا لك، فتقدّم الحرّ للقتال

متوجّهاً نحو الأعداء، وعظهم وحذّرهم ونصحهم فلم ينفع النصح، فجرّد سيفه وحمل عليهم يقاتلهم وهو يقول:

إِنِّي أنـا الحُـرُّ وَمَـأْوَى الضَّـيْـفِ   أَضْرِبُ فِي أَعْنَـاقِكُمْ بِالسـيفِ

عِنْ خَيْرِ مَنْ حَلَّ بِأَرْضِ الخَيْفِ   أَضْرِبُـكُـمْ ولا أَرَى مِـنْ حَـيْـفِ

فما زال يقاتلهم حتّى أكثر فيهم القتلى، وعقروا فرسه فجعل يقاتل راجلاً، فحملوا عليه وتكاثروا حتّى أردوه إلى الأرض صريعاً، فصاح: السلام عليك يا أبا عبد الله سيّدي أدركني!

فمشى إليه الحسين عليه السلام ، وفي رواية: احتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتّى وضعوه بين يديه، وكان به رمق، فجعل الإمام يمسح التراب عن وجهه (هنيئاً لك يا حرّ هذه الشهادة)، وهو يقول: أنت حرٌّ كما سمّتك أمّك، حرٌّ في الدنيا وسعيد في الآخرة، ثمّ أنشأ عليه السلام يقول:- وفي رواية أنّ هذه الأبيات لعليّ بن الحسين عليه السلام :

لَـنِـعْـمَ الحُـرُّ حُـرُّ بَـنـي رِيـاحِ   صَـبورٌ عِـنْدَ مُشْـتَبَكِ الرِّماحِ

وَنِـعْمَ الحُرُّ إذْ وَاسَـى حُسَـيْناً   وَجَـادَ بِـنَفْسِـهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ

اجـاه احسـين شـبه الليث يهدر   يـگلـه ودمع العين اعليـه ينثر

أمـك ما خطت من سـمتك حر   مسـح عنه التراب وصـاح يا ويل

وهكذا كان يصنع الإمام الحسين عليه السلام مع كلّ شهيد يسقط من أصحابه، وكلّما توجّه واحد من الأصحاب يودّع الحسين عليه السلام ، قائلاً: السلام عليك يا بن رسول الله فيجيبه الحسين عليه السلام : وعليك السلام، ونحن خلفك، ويقرأ قوله تعالى:﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ، حتّى قضوا عن آخرهم.

أَدْرَكُوا بِالحُسَيْنِ أَكْبَرَ عِيدٍ فَغَدَوا فِي مِنَى الطُّفُوفِ أَضَاحِي
لَبِسُوا القُلوبَ عَلَى الدُّرُوعِ وَأَقْبَلُوا يَتَهَافَتُونَ عَلَى ذِهابِ الأَنْفُسِ
نَصَرُوا الحُسَينَ فَيا لَهَا مِنْ فِتْيَةٍ عَافُوا الحَياةَ وَأُلبِسُوا مِنْ سُنْدُسِ

وقف أمامهم يستنهضهم، ينظر يميناً وشمالاً، فلا يرى من أنصاره إلّا من صافح التراب جبينه وقطع الحمام أنينه، فنادى: يا أبطال الصفا ويا فرسان الهيجاء، ما لي أناديكم فلا تجيبون، وأدعوكم فلا تسمعون، أأنتم نيام أرجوكم تنتبهون، أم حالت مودّتكم عن إمامكم فلا تنصروه؟ هذه نساء الرسول لفقدكم قد علاهن النحول، فقوموا عن نومتكم أيّها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللئام، ولكن صرعكم والله ريب المنون، وغدر بكم الدهر الخؤون، وإلّا لما كنتم عن نصرتي تقصّرون.

ثمّ نادى بصوت حزين يقطّع القلوب: يا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين، ويا هلال بن نافع، ويا مسلم بن عوسجة، ويا حرّ الرياحيّ، ويا فلان، ويا فلان.

يهـل الشـــيم هـذا محـلـكـم　　ولـلـمـعـركـة نـذخـر همـمـكـم
شـــنهـو الـعـذر يـكـرام مـنـكـم　　تخـلّـون بـالـذلـة حـرمـكـم
اشــلون عيونكم يهـل الوفـا اتنـام　　او تسـمعون الحرم لاجت بـالخيام
كامت تضـطرب عالگاع الاجســام　　اورادت تـــنتهض لـــولا المـــحتم
بـــعـد هيهات دهري بيكم ايعود　　ورد اشـيـل راسي بـــيكم اردود
اوترد اجفوف ابو فــــاضـل للزنود　　وتـــــتلايم النوب اجروح الأكبر

لَمَّا رَأَى السِّـبْطُ أَصْـحَابَ الوَفا قُتِلُوا　　نَـادَى أَبَا الفَضْــلِ أَيْنَ الفَـارِسُ البَطَلُ
وَأَيْـنَ مَـنْ دُونِيَ الأَرْواحَ قَـدْ بَـذَلُـوا　　بِـــالأَمْسِ كَانُوا مَعِي وَاليَومَ قَدْ رَحَلُوا
وَخَلَّفُوا فِي سُوَيْدا القَلْبِ نِيرَانا

الموضوع: الموت فلسفته كيفيته/١

قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

سؤال: ما هو الموت؟

الجواب: الموت هو سفر من عالم الدنيا الى عالم الاخرة او عالم المقر الابدي للانسان حيث قال تعالى ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر: ٣٩].

- روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه كان ينادي في كل ليلة عندما يهجع الناس بصوته الرخيم بحيث يسمعه جميع أهل المسجد وجيران المسجد، فيقول: « تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اَللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ... وَ اِنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ اَلزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَئُوداً وَ مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لاَ بُدَّ مِنَ اَلْوُرُودِ عَلَيْهَا وَ اَلْوُقُوفِ عِنْدَهَا وَ اِعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ اَلْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ وَ كَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ وَ قَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ اَلْأُمُورِ وَ مُعْضِلاَتُ اَلْمَحْذُورِ . فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ اَلدُّنْيَا واِسْتَظْهِرُوا بِزَادِ اَلتَّقْوَى»(١).

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١١ ، ص ٥ .

يعني: استعدوا وهيئوا ما تحتاجونه في سفركم رحمكم الله فانّ منادي الموت نادى فيكم على أبوابكم بالرحيل.

يقول العلامة السيد محمد حسن النجفي قدس سره وهو يصور لنا انتقال الانسان من عالم الدنيا الى عالم مقره الابدي المسمى بعالم الاخرة «...لقد متّ فرأيت أن مرضي الجسماني- على اعتبار انه شخص كان مريض فتوفى بمرضه- قد تلاشى وأصبحت في أتمّ صحّة، ورأيت أقربائي حول جنازتي يبكون عليّ، فحزنت على بكائهم، وقلت لهم: إنّني لم أمُت، بل زال عنّي مرضي».

إلاّ أنّ أحداً لم يسمعني، وكأنّهم لا يرونني ولا يسمعون صوتي، فعلمت أنّني بعيد عنهم، ولكنّي كنت هناك بسبب معرفتي (أي الروح لإنها هي حقيقة الانسان ولا تموت بل تخرج من الجسد) وحبّى لتلك الجنازة، وكنت اُحدّق بعيني في جنبها الأيسر العاري.

وبعد غُسل الجنازة وإجراء ما يلزم لها، اتجهوا بها نحو المقابر، وكنت مع المشيّعين الذين أرعبني أن أرى بينهم حيوانات وحشيّة مفترسة (ذنوب الانسان ورذائله الاخلاقية من حسد وبغض وحقد ...) من كلّ نوع، إلاّ أنّ الآخرين لم يخافوها (لأنهم لم يروها بسبب ذنوبهم قد حجبت عنهم)، وهي لم تؤذِ أحداً، وكأنّها حيوانات أهلية يأنسون بها

أنزلوا الجنازة في القبر، وكنت أقف في القبر أتفرّج، وعندئذ أحسست بالخوف وارتهبت، وعلى الأخصّ عندما لاحظت أنّ حيوانات أخذت تظهر في القبر

وتهاجم الجثّة، وأنّ الرجل الذي كان يوسّد الجثّة في التراب لم يدفع تلك الحيوانات عنها، وكأنّه لا يبصرها.

ثمّ خرج من القبر، فدخلت أنا القبر (أي الروح)، لطرد تلك الحيوانات، بالنظر لما يربطني بتلك الجثّة من روابط، ولكنّ الحيوانات تكاثر عددها وغلبتني على أمري.

ثمّ إنّي كنت في أشدّ الخوف، بحيث كانت جميع أعضائي ترتجف، وطلبت النجدة من الناس، ولكن لم ينجدني أحد، واستمر كلٌّ فيما كان يعمل فيه، وكأنّهم لا يرون ما يحدث في القبر

وبغتةً ظهر أُناسٌ (أي الاعمال الحسنة) في القبر ساعدوني على طرد الحيوانات فهربَتْ.

فأردت أن أسألهم من هم؟ فقالوا :﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤] واختفَوا.

بعد الانتهاء من هذه المعركة انتبهت إلى أنّ الناس كانوا قد أغلقوا القبر، وتركوني في ذلك المكان الضيق المظلم، وانصرفوا إلى بيوتهم، حتّى أقربائي وأصدقائي وزوجتي وأطفالي الذين كنت أسعى ليل نهار لراحتهم؛ فآلمني

نُكرانهم الجميلَ وعدمُ وفائهم، وقد أوشك قلبي أن ينفطر خوفاً وهلعاً من وحشة القبر ومن الوحدة (١) .

حضور أمير المؤمنين عليه السلام عند الاحتضار

حدث الحسين بن عون قال(٢): دخلت على السيد بن محمد الحميري عائدا في علته التي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيد جميل الوجه، رحب الجبهة، عريض ما بين السالفين، فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتنمي حتى طبقت وجهه بسوادها، فاغتم لذلك من حضره من الشيعة، وظهر من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث بذلك إلا قليلا حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد أيضا وتنمي حتى أسفر وجهه وأشرق، وافتر(٣) السيد ضاحكا مستبشرا فقال:

كذب الزاعمون أن عليا ... لن ينجي محبه من هناة
قد وربي دخلت جنة عدن ... وعفا لي الاله عن سيئاتي
فأبشروا اليوم أولياء عليّ ... وتولوا عليا حتى الممات
ثم من بعده تولوا بنيه ... واحدا بعد واحد بالصفات

---

(١) مصير الأرواح بعد الموت او سياحة في الغرب، للعلامة محمد حسن النجفي، دار الانوار، بيروت ، لبنان ،ط١ ،ص١١ .

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٤٧، ص ٣١٢.

(٣) افتر الرجل: ضحك ضحكا حسنا.

ثم أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إله إلا الله حقا حقا، وأشهد أن محمدا رسول الله حقا حقا، وأشهد أن عليا أمير المؤمنين حقا حقا، أشهد أن لا إله إلا الله، ثم أغمض عينه لنفسه فكأنما كانت روحه ... حصاة سقطت(١).

المصيبة

اذن هذا هو موقف آلـ محمد عليه السلام و عليهم السلام مع شيعتهم ومواليهم ومحبيهم ...فمن حقنا ان نبكي عليهم بدل الدموع دما ...لأنهم ارادوا للبشرية والانسانية بل لعالم الامكان السعادة الحقيقية في الدنيا والاخرة ...ولكن سؤ حظ البشرية فقدتهم وغيبتهم ...عن قيادة البشرية ... نعم المصائب كثيرة هي التي جرت على اهل البيت عليهم السلام ومنه ...مجيء النساء ...

وتوزعت النساء كل منها عند عزيز لها.

وأما أم كلثوم ... نادت برفيع صوتها: اليوم مات جدي محمد المصطفى، اليوم مات عليّ المرتضى، اليوم ماتت أمي فاطمة...

جينه او عله گبرك گعدنه او نخيناك يا عزنه او ضمدنه
هاي المحامل گوم ردنه لرض المدينه او وطن جدنه
مهي إمناسبه الغربه تردنه

(١) كناية عن سهولة الموت.

ثم صاحت سكينة: وا محمداه، وا جداه، يعز عليك ما فعلوا بأهل بيتك ما بين مسلوب وجريح، ومسجون وذبيح، وا حزناه، وا أسفاه.

وأجالت زينب بطرفها يمينا وشمالا فقيل لها: لعلك تريدين شيئا؟ فقالت: قوموا بنا إلى قبر أبي الفضل العباس فجاء بها الإمام زين العابدين حتى أوقفها على قبر أبي الفضل العباس وهو باكي العين قائلا: عمه هذا قبر أخيك أبي الفضل رمت بنفسها على القبر منادية: وا أخاه وا عباساه.

لـونّ الـگـبر يـنـكشــف بـابـه   لجـيـمـن عـلـيـه وانـگـل اتـرابـه
أصـــل للـولي واســمع جوابـه   واعـتـب عـلـيـه وأكـثـر اعـتـابـه
صـــاحـت بـالحرم گومن امشـنـه   لـعـد الـلي تـكـفـلـنـه امـن اهـلـنـه
نـريـده ايـگـوم ويـردنـه الـوطـنـه   او مـثـل مـا جـابـنـه بيـنـه ايـتـوزم

الموضوع: الموت فلسفته وكيفيته/٢

قال تعالى ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

سؤال: ما هو الموت؟

الجواب: الموت هو سفر من عالم الدنيا الى عالم الاخرة او عالم المقر الابدي للإنسان حيث قال تعالى ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [غافر: ٣٩].

سؤال: إذا كان الموت سفر فلماذا الخوف؟

الجواب: ذلك راجع لعدم فهم فلسفة الموت وعدم التهيىء لهذا السفر ولذا ورد عن امير المؤمنين عليه السلام : « رحم الله امرأ أعد لنفسه، واستعد لرمسه، وعلم من أين، وفي أين، وإلى أين»؟

يقول العلامة الشيخ حبيب الكاظمي دامت إفاضاته: الإنسان الذي يرى نفسه في سفر إلى الله عز وجل وأن هنالك مبدأ ومقصدا، وأن هنالك زادا ورحلة؛ هذا الإنسان يكون له شأن آخر في الحياة. إن الإنسان في ليلة السفر، له جو خاص في المنزل، وقديماً قالوا: إن المسافر كالمجنون. من باب الذهول الذي يعتري المسافر؛ فالمسافر الذي يريد أن يسافر، له جوه النفسي.

وقال رجل لأبي ذر: ما بالنا نكره الموت، فقال: لأنّكم عمّرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

فقيل له: فكيف ترى قدومنا على اللهّ؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسي ء فكالآبق يقدم على مولاه.

قيل: فكيف حالنا عند اللهّ؟

فقال: أعرضوا أعمالكم على كتاب اللهّ، إنّ اللهّ عز وجل يقول ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ ﴾ [الإنفطار: ١٣-١٤].

قال الرجل: فأين رحمة اللهّ؟ قال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦ ﴾ [الأعراف: ٥٦].

الموت بالنسبة للمؤمن

عن أبي محمد العسكري، عن آبائه عليهم السلام قال: قيل للصادق عليه السلام : صف لنا الموت، قال عليه السلام: للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه (١).

الموت بالنسبة للفاسق

عن أبي محمد العسكري، عن آبائه عليهم السلام قال :(الموت) للكافر كلسع الافاعي ولدغ العقارب أو أشد. قيل: فإن قوما يقولون: إنه أشد من نشر بالمناشير!

(١) بحار الأنوار ، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٦ ، ص ١٥٢.

وقرض بالمقاريض! ورضخ بالأحجار! وتدوير قطب الارحية على الأحداق، قال: كذلك هو على بعض (١) الكافرين والفاجرين ... (٢).

التكليف المطلوب منا في دار الدنيا

سؤال: ما هو تكلفنا تجاه حياتنا وأنفسنا؟

الجواب:

أولا: نسعى للتفقه في الدين اما عن طريق الدرس والدراسة او حضور مجالس الوعظ والإرشاد قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٢] (٣).

---

(١) توضيح : لماذا البعض ؟ قيل: فما بالنا نرى كافرا يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يحدث ويضحك ويتكلم، وفي المؤمنين أيضا من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شديدة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقيا، نظيفا، مستحقا لثواب الابد، لا مانع له دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفي أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاد حسناته ذلكم بأن الله عدل لا يجور. ، بحار الأنوار ،العلامة المجلسي ،ج ٦ ، ص ١٥٣.

(٢) بحار الأنوار ، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٦ ، ص ١٥٢.

(٣) سبب النّزول :روي الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان عن ابن عباس، أنّ النّبي صلى الله عليه وآله لما سار إلى ميدان القتال، كان جميع المسلمين يسيرون بين يديه باستثناء المنافقين والمعذورين، إلاّ أنّه

ثانيا: نتدارك ما فاتنا بالوصية ولهذا ورد في الروايات قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٠].

وقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لأمرئ مسلم أن يبيت ليلة، إلا ووصيته تحت رأسه.

بعد نزول الآيات التي ذمت المنافقين، وخاصّة المتخلفين عن غزوة تبوك، فإنّ المؤمنين صمموا أكثر من قبل على المسارعة إلى ميادين الحرب، بل وحتى في الحروب التي لم يشارك فيها النّبي ﷺ بنفسه، فإنّ جميع السرايا كانت تتوجه الى الجهاد، ويدعون النّبي ﷺ وحده، فنزلت الآية وأعلنت أنّه لا ينبغي في غير الضرورة أن يذهب جميع المسلمين إلى الجهاد، بل يجب أن يبقى جماعة منهم ليتعلموا العلوم الإسلامية وأحكام الدين من النّبي ﷺ ويعلموا أصحابهم المجاهدين عند رجوعهم من القتال.

وقد نقل هذا المفسّر الكبير سبباً آخر للنّزول بهذا المضمون أيضاً، وهو أنّ جماعة من أصحاب النّبي ﷺ انتشروا بين القبائل يدعونهم إلى الإسلام، فرحبّوا بهم وأحسنوا إليهم، إلاّ أنّ بعضهم قد لامهم على تركهم النّبي ﷺ والتوجه إليهم، وقد تأثر هؤلاء لذلك ورجعوا إلى النّبي ﷺ ، فنزلت الآية تؤيد عمل هؤلاء في الدعوة إلى الإسلام، وأزالت قلقهم.

وروي سبب ثالث للنزول في تفسير «التبيان»، وهو أنّ الأعراب لما أسلموا توجّهوا جميعاً نحو المدينة لتعلم الأحكام الإسلامية، فسبّب ذلك ارتفاع قيمة البضائع والمواد الغذائية، وإيجاد مشاكل ومشاغل أُخرى لمسلمي المدينة، فنزلت الآية وعرّفتهم بأنّه لا يجب توجههم جميعاً إلى المدينة وترك ديارهم وأخلاؤها، بل يكفي أن يقوم بهذا العمل طائفة منهم.

تكليفنا تجاه الأموات

سؤال: ما هو تكليفنا تجاه الأموات لاسيما الوالدين والارحام؟

الجواب: بعد مراسيم تجهيز الميت والتي منها واجبة وأخرى مستحبة تنتظرنا مجموعة من الاعمال واجبة وأخرى مستحبة ومنها:

أولا: الصدقة وصلاة الدفن روى السيد ابن طاووس عليه الرحمة عن النبي صلّى الله عليه وآله قال: لا يأتي على الميت ساعة أشدّ من أوّل ليلة، فارحموا موتاكم بالصّدقة فإن لم تجدوا فليصلِّ أحدكم ركعتين (١)، (٢).

ثانيا: قضاء ما فات الوالدين والارحام من الصلوات والصيام والعبادات الأخرى الواجبة...(٣).

ثالثا: تنفيذ الوصية طبقا لما أوصى به المتوفى ...

رابعا: الميراث وثلث المتوفى ...يصرف حسب وصيته ...

---

(١) بحار الأنوار ، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٨٨ ، ص ٢١٩ .

(٢) كيفيتها :أولا صلاة ليلة الوحشة: ركعتان يقرأ في الأولى بعد الحمد اية الكرسي والاحوط لزوما قراءتها إلى :(هم فيها خالدون) وفي الثانية بعد الحمد سورة القدر عشر مرات ، وبعد السلام يقول:(اللهم صل على محمد وال محمد وابعث ثوابها إلى قبر فلان) ويسمي الميت ، ثانيا اعم من ليلة الوحشة: بعد الحمد في الأولى التوحيد مرتين ، وبعد الحمد في الثانية سورة التكاثر عشرا ، ثم الدعاء المذكور ، والجمع بين الكيفتين أولى وأفضل .

(٣) الولد الذكر الأكبر هو الواجب عليه قضاء ما فات اباه من الصلاة والصيام ...على تفصيل في الرسائل العملية.

هذه الاعمال تتأكد وجوبا وحرمتا واستحبابا بالنسبة للوالدين لان منزلتهم عظيمة عند الله سبحانه قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

أضف الى ذلك قد يكون الانسان بار بوالديه في حياتهما وبعد المات ينعكس الامر ففي الرواية عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن العبد ليكون بارا بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما الدين، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عاقا وإنه ليكون في حياتهما غير بار لهما فإذا ماتا قضى عنهما الدين واستغفر الله لهما فيكتبه الله تبارك وتعالى بارا (١).

والعقوق يحرم الانسان من ريح الجنة فضلا عن دخولها ففي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنة، فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنف واحد، قلت: من هم؟ قال: العاق لوالديه (٢).

الرحمة الإلهية بالمخلوقات ومنهم الانسان

بعد ان عملنا حسب الموازين الشرعية نجد بصمة الرحمة الإلهية واضحة في حياتنا قبيل انتقالنا من الدنيا الدنية الى الاخرة قال تعالى ﴿ رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ

---

(١) بحار الأنوار ، المجلسي، العلامة محمد باقر المجلسي ،ج ٧١ ، ص ٥٩.

(٢) المصدر ،ج ٧ ، ص ٢٢٤.

وَٰسِعَةٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٧] وقال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام ﴿ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ ﴾ [الحجر: ٥٦] ومن مصاديق الرحمة الالهية: مرض المؤمن او ابتلائه بمصاب الدنيا وهذا من اجل التطهير من بعض الرذائل التي اكتسبناها نتيجة المخالفات الشرعية ...ففي الروايات بيان واضح لهذه الحقيقة ومنها:

- عن الإمام الصادق عليه السلام قال: إن العبد إذا كثرت ذنوبه ولم يجد ما يكفرها به ابتلاه الله بالحزن في الدنيا ليكفرها به، فإن فعل ذلك به وإلا أسقم بدنه ليكفرها به، فإن فعل ذلك به وإلا شدّد عليه عند موته ليكفرها به، فإن فعل ذلك به، وإلا عذبه في قبره ليلقى الله عزّ وجل يوم يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من ذنوبه.
- وعنه عليه السلام قال: إن الله إذا أحب عبداً نظر إليه، وإذا نظر إليه أتحفه بواحدة من ثلاث: إما حمّى أو وجع عين أو صداع.

المصيبة

ومن الاعمال المستحبة النافعة للأموات عقد المجالس والمواعظ لأجلهم:

ففي الرواية عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال لفضيل: تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم جعلت فداك قال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا يا فضيل! فرحم

الله من أحيى أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر (١).

اذن الاجتماع من اجل الأموات وذكراهم ينفع الحي والميت لان فيه ذكر لمحمد واله عليهم السلام و عليهم السلام وخصوصا إذا ختم المجلس بذكر المصائب التي جرت على غريب كربلاء سيد الشهداء وآلـ بيته عليه السلام و عليهم السلام ومن المصائب التي جرت على اهل البيت عليهم السلام عودة بنات الرسالة يوم الأربعين لكربلاء ... فيالها من مأساة ...فلنصغي للتأريخ وهو ينقل لنا شذرة من هذا المشهد المأساوي:قال الراوي: لما وصله الركب الحسيني وتوزعت النساء كل منها عند عزيز لها.

أما أم كلثوم ... نادت برفيع صوتها: اليوم مات جدي محمد المصطفى، اليوم مات علي المرتضى، اليوم ماتت أمي فاطمة...

جـينـه او عـلـه گـبرك گـعـدنـه او نخيناك يا عزنـه او ضـمـدنـه

هـاي المـحـامـل گـوم ردنـه لـرض المـدينـه او وطـن جـدنـه

مـهـي إمـنـاسـبـه الـغـربـه تـردنـه

نعم هكذا كان المشهد في كربلاء ...

واما في المدينة: الحوراء زينب عليها السلام دخلت لدار سيد الشهداء عليه السلام ومعها بنات الرسالة صحن صيحة واحدة أي واحسيناه أي وامظلوماه أي واغربتاه ...وصارت زينب عليها السلام تجول في الدار تعاين الدار خالية من الاهل ومن الأحبة

---

(١) المصدر ،ج ٤٤ ، ص ٢٨٢.

ليس فيها أحد من الرجال محراب اخيها الحسين خالي مهد عبد الله الرضيع خالي فتختنق بعبرتها وكأني بلسان حالها:

يـا دار ويـن حســين راعـيـج   ويـن الـبـطـل عـبـاس احـاجـيـج
ويـن الـعشــيرة والـزلم ذيـج   واســا غـراب الـبـين نـاعـيـج
يـــا دار عـــزيـــنـــي وعـــزيـــج

نعم هي عليها السلام تتمنى عودة تلك الأيام الحلوة التي قضتها بجنب اخوتها:

يـاخـوي هـم بـيـكـم يـعـودني زمـاني   وشـــيـل الـراس بـيـكـم يـاخـواني
ورد هـيـبـة ورفـعـة مجـــــــاني   وشـــوف حســـين والمعـبـاس الازهـر
هـيـهـات المـلاكـى بـعـد هـيـهـات   مـا يـرجـع الـغـايـب ويـرجـع المـات

ياغائباً عن اهله اتعـــــــــود ام   تبقى الى يوم المعـــــــاد معـــــــيبا

الموضوع: الهدية للأموات وآثارها

قال رسول الله ﷺ:« اهدوا لموتاكم » فقلنا:يا رسول الله:وما هدية الأموات؟ قال: «الصدقة والدعاء »(١) .

السؤال: ما هو حال الاموات بعد انقطاعهم عن الدنيا؟

الجواب:قال ﷺ : « إن أرواح المؤمنين تأتي بكل جمعة إلى السماء الدنيا بحذاء دورهم وبيوتهم ، ينادي كل واحد منهم بصوت حزين باكين : يا أهلي ويا ولدي ، ويا أبي ويا أمي وأقربائي ، اعطفوا علينا – يرحمكم الله – بالذي كان في أيدينا والويل والحساب علينا ، والمنفعة لغيرنا ، وينادي كل واحد منهم إلى أقربائه : اعطفوا علينا بدرهم أو برغيف أو بكسوة يكسوكم الله من لباس الجنة».

ثم بكى النبي ﷺ وبكينا معه ، فلم يستطع النبي ﷺ أن يتكلم من كثرة بكائه ، ثم قال : « أولئك اخوانكم في الدين فصاروا تراباً رمياً بعد السرور والنعيم ، فينادون بالويل والثبور على أنفسهم يقولون : يا ويلنا ، لو انفقنا ما كان في

---

(١) جَامِعُ الأَخْبَارِ أو معارج اليقين في اصول الدّين، السبزواري، الشيخ محمد بن محمد السبزواري ، الفصل الرابع والثلاثون والمائة في زيارة قبور المؤمنين ، ح « ١٣٤٧|٥ »

أيدينا في طاعة الله ورضائه ما كنّا نحتاج إليكم ، فيرجعون بحسرة وندامة وينادون : اسرعوا صدقة الأموات »(١).

سؤال : ما هو اثر الصدقة للحي والميت ؟

الجواب : الله سبحان امرنا بالدعاء للأموات والصلاة لهم وهذا له اثر للميت والحي حيث ورد عنهم عليهم السلام عدة روايات في هذا المجال ومنها:

- قال النبي صلى الله عليه وآله : « ألا من أعطف لميت بصدقة ، فله عند الله من الآجر مثل أحد ، ويكون يوم القيامة في ظل عرش الله يوم لا ظل إلاّ ظل العرش ، وحي وميت نجى بهذه الصدقة»(٢).
- عن الإمام الصادق، عن ابائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مر عيسى بن مريم عليه السلام بقبر يعذب صاحبه، ثم مر به من قابل فإذا هو ليس يعذب، فقال: يا رب مررت بهذا القبر عام أول فكان صاحبه يعذب ثم مررت به العام فإذا هو ليس يعذب ؟ فأوحى الله عز وجل إليه: يا روح الله إنه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقا وآوى يتيما فغفرت له بما عمل ابنه(٣).

---

(١) المصدر : ح « ١٣٤٨|٦ » .

(٢) المصدر :ح « ١٣٤٩|٧ » .

(٣) بحار الأنوار ، المجلسي ، محمد باقر المجلسي ، ج ٧٢ ، ح٢ .

مغرورين

أيـــام وســـــــــنين وكلــــنـــــا ميتيـــــــــــن

مغرورين

النهاية الموت تالي العمر لوطال   ونرجع للاصل ونصير من طين

مغرورين

نسينة طول العمر خـــــــــطار   وطبع العمر مهما يطول خلصان

مغرورين

يجينا الموت مهما تطول الأيام   ويضيع النفس منا وتغفل العـــين

مغرورين

تفارك خلتك واهلك والاحبـــاب   وشكد عندك قساوة تصير مسكين

مغرورين

بتابوتك نمت وبصحبة الجناز   مستعجل يشدك بالحبل زيـــن

مغرورين

وصلت المقبرة واخر اللحظات   لكيت القبر جاهز والمفر ويـــن

مغرورين

وحيد أبقى بلحد ما شوفن الناس   عواصف واهتزاز وشبحت العين

مغرورين

اليوم بغربتي اتوسد الكـاع   فقدت كل شيء الحويتة بذيج الـــسنين

مغرورين

صعبة من رحلت من عتبة الباب   وكضه عمري عبالك رمشة العين

مغرورين

عرفنا الموت حق ولا عذر بيه   ما يعرف لا ملوك ولا سلاطيـــــــن

مغرورين

نعم الدنيا بظلمها ما ترحم لاسيما المؤمنين والاولياء ...فهذا الحسين عليه السلام جرت عليّه يوم الطفوف كل الرزايا والمصائب قتل الأحبة وفراق الاهل والأولاد وغربتهم وتشتتهم في البلاد من ظالم يهدون لشر ظالم ... ولهذا يقول الشاعر واصفا حالتهم او (لسان حال زينب عليها السلام):

انـا مشـــيـت درب المـامشـــيـتـه   جـتـال اخـي غـصـــب رافكـيـتـه

انـا مـو عـادتي طـبـت الـديـوان   ولا كـلـمـت يحـســين عـدوان

ولا تحـجـبـت مـثـلي الـنسـوان   انـا الـنعـاك يـاعـيـنـه مـن الـعـيـال

ان لــــنــــعــــاك يــــلــــمــــذبــــوح عــــطشــــان

الموضوع: الحسرة

قال تعالى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ [مريم: ٣٩].

سؤال: ما معنى الحسرة؟

الجواب: الندامة والاغتمام على ما فات بحيث لا يمكن ارجاعه وذلك بسبب غفلته(١).

ولذا يقول امير البلاغة والبيان علي بن ابي طالب عليه السلام : فيالها حسرة على كلّ ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجّة، أو تؤدّيه أيامه إلى شقوة...(٢)

سؤال: على ماذا نتحسر؟

الجواب:

١. لتفريطنا دنيانا ولم نستثمرها: كما عبر سبحانه عن حالة الكافرين قال تعالى ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنعام: ٣١].

---

(١) ينظر: الطريق الى المنبر الحسيني لسعادة الدارين، الخطيب عبد الوهاب الكاشي، ط ١،ج٢ ،ص٢٦٠.

(٢) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة الشّيخ محمّد تقي الشيخ التّستري (الشوشتري) .

أي ما ضيعناه في الدنيا من تقديم اعمال للآخرة.

٢. التحسر على مالنا لم ننفقه في سبيل الله: قال مولانا الامام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ [البقرة: ١٦٧]...انه يرى ماله في يد غيره.

وسبب هذه الحسرة ان هذا المال الذي كنزه ولم ينفقه في سبيل الله تعالى يتحول الى جمر يتكوّى به كما قال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥ ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

٣. التحسر لما نراه من كثرة الذنوب: ولا يحمل أحد عنا شيئا وهذا أخبرنا به المولى سبحانه بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ ﴾ [فاطر: ١٨].

٤. الحسرة على ما فاتنا من نعيم الجنة: عن النبي صلى الله عليه وآله : يرى اهل النار منازلهم من الجنة فيقولون ياحسرتنا.

٥. حسرة اهل الجنة: يتحسرون على الساعات التي قضوها بغير ذكر الله سبحانه حيث ورد في الرواية اشد ما يتحسر اهل الجنة على ساعة قضوها في الدنيا بغير ذكر الله تعالى.

سؤال: لماذا اهل الجنة يتحسرون مع انهم في الجنة؟

الجواب: لأنهم في هذه الدنيا لم يعوا حقيقة ولذة الجنة رغم انهم سائرون في طريقها ...ومن القصص الظريفة لبيان ذلك ...ننقل لكم أيها المشتاقون للقاء الحبيب هذه القصة وتحت عنوان:

من حمل منها ندم ومن لم يحمل ندم!!!

ان ذي القرنين لما سار مع قومه طالبا عين الحياة وصل الى وادي الظلمات فوطأ جماعته بأقدامهم شيئا دون ان يعرفوا ما هو فسألوه عنه. فأجابهم بكلام مجمل: هذه الأرض من حمل منها شيئا ندم ومن لم يحمل منها شيئا ندم. !!!

فالبعض قال: طالما أن العاقبة هي الندامة فلماذا نحمل؟ والبعض قال نحمل فلن نخسر شيئا.

فلما أن صاروا الى النور نظروا وإذا ما في أيديهم مجوهرات فالذي لم يحمل والذي حمل ندم ذاك لعدم حمله وهذا لم يكثر.

وهكذا نحن الآن اشبه ما نكون في هذه الدنيا بوادي الظلمات وعندما نخرج الى عالم النور عالم الاخرة فالذي لم يعمل شيئا لآخرته سوف يندم والذي لم يكثر من العمل سوف يتحسر على ما فاته من رفيع الدرجات.

٦. التحسر على نور الولاية الذي يفوته: حيث ورد عن الامام زين العابدين عليه السلام قوله: انما تسطع انوار شيعتنا على مقدار ولايتهم لنا.

المصيبة

ومن النساء الفائزات بنور الولاية ام البنين ام العباس واخوته عليها السلام و عليهم السلام ...ففي الروايات انها سألت عن الحسين عليه السلام قبل السؤال عن أولادها ...ففي الخبر المنبري ... في اليوم الذي قدم فيه الإمام زين العابدين عليه السلام بعمّاته وأخواته، ودخل بشرُ بن حذلم ينعى الحسين عليه السلام لأهل المدينة فصار يصرخ في أزقّة المدينة وشوراعها:

يا أهل يـــــثرِب لا مُقام لكُم بِها   قُـتِـل الحســـينُ فـأدمُـعِـي مِـدْرارُ
الجِسْـــمُ مِـنـهُ بِـكـربـلاء مُضرّــجٌ   والـرأسُ مـنـه عـلى الـقـنـاةِ يُـدارُ

في ذلك اليوم ضجّت المدينةُ ضجّةً واحدة، حتّى صارت كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله .

يقول بشر: بينما أنا أسير وإذا بإمرأة طويلة القامة، على كتفها طفلٌ رضيع، قالت: يا بشر عندك علمٌ بالحسين عليه السلام ؟

قلتُ: نعم على الخبير سقطتِ، ولكن من أنتِ تسألين عن الحسين عليه السلام ؟

فقالت: يا بشر أنا أمّ البنين أُمّ أبي الفضل العبّاس عليه السلام ، فقلتُ لها: يا أمّ البنين عظّم الله لكِ الأجر بولدكِ جعفر، قالت: يا بشر أخبرني عن الحسين عليه السلام ، سألتك عن الحسين عليه السلام ... يا أمّ البنين عظّم الله لك الأجر بولدكِ عبد الله،

قالت: يا بشر أخبرني عن الحسين عليه السلام ... يا أمّ البنين عظّم الله لكِ الأجر بولدكِ عون، قالت: يا بشر أخبرني عن الحسين عليه السلام . قلتُ: يا أمّ البنين عظّم الله لك الأجر بولدكِ قمر العشيرة، أبي الفضل العبّاس عليه السلام لمّا سمعت ذلك وضعت يدها على خاصرتها، وقالت يا بشر لقد قطّعت نياط قلبي، أخبرتني بموت أربعة من أولادي، ولكن إعلم أنّ أولادي وجميع من تحت الخضراء فداءٌ لأبي عبد الله، أخبرني عن الحسين عليه السلام .

عند ذلك قلتُ لها يا أمّ البنين عظّم الله لكِ الأجر بالحسين عليه السلام ، فلقد خلّفناه بأرض كربلاء جثّةً بلا رأس، فصاحت أمّ البنين واولداه وا حُسيّناه.

ورحم الله الشاعر الحسيني وهو يصور هذا الموقف بقوله:

عظم الله أجرج بجعفر وعون
تقله الكل فده لحسين يرحون
يقلها عبد الله غده وياهم فرد كون
تقله الفخر ريحانة المختار
يقلها انجتل عباس اشتقولين
التوت واتقول قلي ابقرة العين
بجه ودق عله راسه وصاح يحسين

<u>دخول ام البنين عليها السلام لدار الحسين عليه السلام واذن زينب عليها السلام بالدخول:</u>

صاحت يالفواطم فكن الباب وتلقن شريكتنه بالمصاب

هـاي أم البنين ونسـل الأطياب راحوا إلها اشـبول أربعه إحسـاب

بجت زينب وصـاحت آه يا حزني

وإجتها أم البنين ابضلع محني

تصيح ابصوت آه يحسين يبني

يبني مصيبتك بجّت الدارين

وهنا ام البنين عليها السلام تسأل زينب عليها السلام عن موقف العباس واخوته عليهم السلام في كربلاء:

صـاحت أرد انشـدچ يا ضـوه العين

عـن عـباس وولـداي المـيامـين

اخافن گصّـروا عن نصرة احسين

او عند امه ابخجل وجهي توسم

جواب زينب عليها السلام :

لا يمه تگللها اشتگولين بذلوا كل مهجهم دو الحسين

ثـلث تنعام من اخوتي الطيبين او وگفوا سـور ما دون المخيم

وهنا ام البنين عليها السلام تؤكد ان أولادها فداءً للحسين عليه السلام :

يـبني الناس كلها اتريد الأولاد وأنا العينك ردتهم يبو السجاد

تمـنيتك ترد سالم للأوطان

جا بيك جرح الأربعه هان

أنـــا لو أدري بحليبي هـــالوفه جان   بـــــعد ربيّت ليك يحســين خوان

اه :

هل تـــعودون يـــا كرام عليـــنا   ام قضـــــى ذو الجلال ألا تعودوا

الْمَصَادِرُ

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

١. إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي.

٢. الإرشاد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان.

٣. إرشاد القلوب، الديلمي، ابو الحسن محمد الدّيلمي.

٤. أصول الكافي، الكليني، ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني.

٥. أعلام الدين أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الجليل الحسن بن ابي الحسن الديلمي.

٦. الأمثل في كتاب الله المنزل، العلامة ناصر مكارم الشيرازي.

٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام، العلامة محمد باقر المجلسي.

٨. البحر المديد، ابن عجيبه، تفسير بن عجيبه العلامة أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة.

٩. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة الشّيخ محمّد تقي الشيخ التّستري «الشوشتري».

١٠. تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري.

١١. تحف العقول، الحرّانى، أبو محمد، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني.

١٢. التربية الأسرية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الموقع الالكتروني.

١٣. تفسير مجمع البيان، الطبرسي، امين الاسلام أبي على الفضل بن الحسن الطبرسي.

١٤. التهذيب، الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

١٥. جَامِعُ الأَخْبَارِ أو معارج اليقين في اصول الدّين، السبزواري، الشيخ محمد بن محمد السبزواري.

١٦. الراغب الاصفهاني، الحسين بن المفضل الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم.

١٧. الزهد، للمحدث الجليل الحسين بن سعيد الأهوازي.

١٨. سفينة البحار، القمي، الشيخ عبّاس بن محمّد رضا القمي.

١٩. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن محمّد الشافعي المعتزلي.

٢٠. الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية.

٢١. صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري.

٢٢. الضيافة الإلهية، سماحة السيد يوسف الناجي.
٢٣. علل الشرائع، الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق.
٢٤. غرر الحكم ودرر الكلم، آمدى، عبد الواحد بن محمد تميمي.
٢٥. فلسفة الدين، السيد كمال الحيدري.
٢٦. في ظلال العقيدة والأخلاق، السيد كمال الحيدري.
٢٧. قصص وخواطر، عبد العظيم المهتدي البحراني.
٢٨. كشف الغمة لأبي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي.
٢٩. كنز العمال، حسام الدين الهندي.
٣٠. لسان العرب، لجمال الدّين محمّد بن مكرم المصري الأفريقي المعروف بـ «ابن منظور».
٣١. مجالس السيرة الحسينية، إعداد معهد سيد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسينيّ جمعية المعارف الإسلامية الثقافي.
٣٢. مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين بن محمّد علي الطريحي.
٣٣. المحجة البيضاء، الفيض الكاشاني، المولى محمد محسن المعروف بالفيض الكاشاني.
٣٤. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، النوري الطبرسي، الميرزا حسين النوري الطبرسي.

٣٥. مصير الأرواح بعد الموت او سياحة في الغرب، للعلامة محمد حسن النجفي.
٣٦. معين الخطباء في مجالس عاشوراء، السيد حسين نجيب محمد.
٣٧. مفاتيح الجنان، القمي، الشيخ عباس القمي.
٣٨. مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق للمقرّم.
٣٩. من لا يحضره الفقيه، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بـ الشيخ الصدوق.
٤٠. موقع كتابات في الميزان.
٤١. نهج البلاغة، صبحي الصالح.
٤٢. الوافي، الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى المشهور بلقب الفيض الكاشاني.
٤٣. الطريق الى المنبر الحسيني لسعادة الدارين، الخطيب عبد الوهاب الكاشي.

الفِهْرِسْتُ

منشورات حسينية الامام الحسين عليه السلام

بقلم سماحة السيد يوسف الناجي

١. سلسلة الموسوعة الرمضانية وتضم:

أ-تأملات روحية وتربوية في سورة القدر.

ب-الضيافة الإلهية.

ت-المناسبات الرمضانية.

ث-تعرف على شهر رمضان من المنظور الطبي والشرعي.

ج-اعمال شهر رمضان مقتبس من مفاتيح الجنان بحلة فاخرة.

٢. قبس من انوار الزهراء عليها السلام الملكية والملكوتية.

٣. مفاتيح واسرار سعادة الزوجين.

٤. وقفة تأمل عن أساليب الشيطان في استفزاز الانسان.

٥. ترانيم الروح.

٦. المحاضرات النسائية الظريفة والقصص الطريفة.

٧. رحيق المجالس للمناسبات السنوية ج١، ج٢ «بحوث تعنى بمقامات المعصومين عليهم السلام وابائهم عليهم السلام واولادهم عليهم السلام».

٨. عوالم ومنازل الانسان.

٩. الملك والملكوت.

١٠. مقتل الزهراء عليها السلام.

١١. مقتل الامام الكاظم عليه السلام.

١٢. الاضحية في الحل: معناها، استحبابها، وقتها، احكامها.

١٣. وقفة مع مدعي نسب رسول الله صلى الله عليه وآله «ادعاء السيادة».

١٤. النيروز تحت المجهر الشرعي.

١٥. انيس النفوس ج١.

١٦. قبس من بعثة النبي صلى الله عليه وآله في الآيات والروايات.

١٧. قبس من معراج النبي صلى الله عليه وآله في الآيات والروايات.

١٨. همسات في شغاف القلب «مخطوط».

١٩. دحو الأرض تحت المجهر الشرعي «بحث تخرج لنيل البكالوريوس».

٢٠. رسالة في السعادة الإنسانية.

٢١. رسالة المرجعية الدينية ومعالجتها لمشاكل الامة بين الرفض والقبول.

٢٢. رسالة في آثر الذنب التكليفي والوضعي.

٢٣. تقويم أوقات الصلاة لمدينة العمارة وولادات وشهادات المعصومين عليهم السلام.

٢٤. عبق المجالس.

٢٥. عظمة ليلة النصف من شعبان.

٢٦. المجالس العلوية.

٢٧. المجالس التربوية النسائية.

٢٨. مصيبة الامام الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم.

٢٩. مختصر مقتل الأربعين.

٣٠. من كل بستان زهرة خمسة أجزاء.

٣١. دور المسجد والمبلغ الصالح في هداية الناس.

٣٢. تأملات مهدوية.

٣٣. المواعظ الرمضانية.

٣٤. النفحات الرمضانية .

٣٥. الاماسي القرآنية الرمضانية .

٣٦. تحفة المجالس ج١ (بين يديك).

٣٧. والعديد من المؤلفات المخطوطة على صفيح ساخن تنتظر لتبصر نور الوجود بألطاف صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

للتــــواصـــــــــل

منشورات حسينية الامام الحسين عليه السلام

بقلم سماحة السيد يوسف الناجي

بإمكانكم متابعة برامجنا عبر القنوات التالية

الفيس بوك: برنامج الاسرة في الإسلام

ملتقى منظمة النبأ الثقافية

اليوتيوب: النبأ الثقافية، التلكرام: منظمة النبأ الثقافية

الواتساب: ٠٧٧٠٥٥٠٥٣٥٨ ، النقال ٠٧٧١٦٢١٩٦٢٦

العنوان: ميسان، حي الحسين الجديد